obeikandl.com

أوركاچيا

الكتاب : أوركاجيا
المؤلف : عبد الرحمن شاكر
تصميم الغلاف : أحمد بحيري
تدقيق لغوي : سارة صلاح
رقم الإيداع : 2014/9598
الترقيم الدولي : 978-977-6436-87-9
الطبعة الأولى : 2015

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-02-35860372 011-27772007
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikandl.com

أوركاچيا

رواية لـ

عبد الرحمن شاكر

للنشر والتوزيع

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

إلى كل مَن خاف الموتَ فاصطدم بالأسوأ، فقد عاش.

obeikandl.com

obeikandl.com

وأما الزمن تَعَبُه

قصقص شريط الفيلم

وخد كادر كان عاجبه

وقرر يعيش في الحلم

مصطفى إبراهيم

obeikandl.com

obeikandl.com

الأربعاء.

١ يناير ٢٠١٤.

الثانية بعد مُنتصف الليل.

ليلٌ شديد البرودة، الصمت يسيطر، الهدوء يسود، صوت اصطدام الرياح المتضادة هو الصوت الأوحد، الخيط الأبيض يقترب ببطء، في مُحيط جبل المقطم أعلاه وأسفله هدأت أصوات الاحتفالات بالسنة الجديدة، أنارت (سرائن) سيارات الشرطة والإسعاف سماء المُقطَّم بدلًا من الألعاب النارية التي احتلت السماء لساعات طويلة احتفالًا بحلول العام الميلادي الجديد، السيارات جميعها في الطريق الواقع أسفل الجبل تسير ببطءٍ واضح في حالة ذهول ومراقبة لما يجري.

سيعتقدون ما يعتقدونه دائمًا، ويتمنون ما يتمنونه، وسيظل الواقع أمرًا.. لن يتغير.

تبتعد حافة الجبل عن أول الطريق الأسفلتي الخاص بالسيارات ما يقرب من العشرة أمتار تقريبًا، تزيد وتقل مع انحراف الطريق، يجمع العشرة أمتار بطول الطريق عرفٌ واحدٌ، الرمال وبعض الصخور الصغيرة نسبيًا بالمقارنة بالصخور العالقة بالجبل نفسه، وصل رجال الشُرطة من «قسم المُقطَّم» إلى حيث استقرت جُثَّة هامِدة مُلقاة على الرمال أسفل جبل المقطم، تُحيطُها الدِماء مِن الجوانِب مُعظمَها، وخاصةً حول مِنطقة الرأس

المُهشّمة تهشيمًا كاملًا، وقف رجال الشرطة يُراقبون موقع الحادث ويأمّنونه مُترقبين وصول رجال النيابة العامّة، فانضمَّ لرجال الشرطة المتواجدين العميد «عامِر الشِنَّاوي»، في آخر عِقده الخامس، نزل من سيارة الشُرطة التي قادها أحد عساكره في بذلته الأنيقة وحذائه الأسود اللامع بالألوان الزرقاء المُتبدلة مع الحمراء، وجهٌ صارِمٌ أبيض بعض الشيء وشعر أسود خفيف، شاربه يُزيد من هيبته وسط العامة، ثُقل جسده وبطنه يأكلان من قامته بعض الشيء، ينظر بحدة لجميع المتواجدين بموقع الحادث، تواجد قبله بدقائق الرائد «حاتم عابد»، في نهاية العِقد الثالث مِن عُمره، طويل القامة نسبيًا، بشرته بيضاء وشعره غزيرٌ متوسط الطول تتحد خصلاته في الرجوع، تواجد قبل وصول العميد «عامر الشناوي» بدقائق تزيد على الخمسة عشر، مشى العميد «عامر» بتأنٍّ داخل الطريق الرملي، وصل إلى حافة تجويف حيث رقدت الجُثّة، وما إن تلاقى مع الرائد «حاتم» حتى بدأ في السؤال:

– إيه اللي حصل؟

فأجاب الرائد «حاتم» بنبرة واثقة روتينية سريعة اعتاد عليها حتى أتقنها:

– جالنا بلاغ من النجدة إن فيه جُثّة تحت الجبل.. واتحركنا فورًا ولقيناه زَي ما سعادتك شايف.

فنظر العميد «عامر الشناوي» إلى الجُثَّة وجال ببصره في موقع الحادث للحظات، لا أحد يقف للمشاهدة سوى بعض أفراد المباحث، اقتصرت مُشاهدة المدنيين من نوافذ سياراتهم المارة بجانب موقع الحادث، فتنهد قبل أن يُكمِل أسئلته:

– إيه الحفرتين دول؟

فقبل أن يُجيبه الرائد «حاتم» على سؤاله إذا كان له إجابة، قطع حديثهما وصول «تميم عبدالفتَّاح» – وكيل نيابة المُقطَّم – إلى مكان الحادث، شابٌ في مُنتصف العِقد الثالث، يرتدي بذلة سوداء بقميصٍ أبيض ناصع حرّره من رابطة العُنُق، طويل القامة، قوي البنية، حليق الذقن تمامًا، شعره أسود قصير، ألقى التحية على المتواجدين وتوغَّل في الرمال بين رجال الشرطة مُقتربًا من العميد «عامر» وبدأ:

– أهلًا يا «عامر» باشا.

فبادله العميد «عامر» مُرحِّبًا:

– أهلًا يا باشا.. اتفضل.

فسأل «تميم»:

– مفيش حد من أهله عِرف؟

obeikandl.com

فأجابه العميد «عامر»:

– زمانهم اتبلّغوا.

هزَّ «تميم» رأسه ثم توجه إلى مكان الجُثّة، ألقى نظرة سريعة عليها قبل أن يعود بنظره إلى بعض المتواجدين، عاد مرة أخرى يتفقّد الجُثة بنظره أولًا، مشى بجانبها بعض الخطوات يمينًا ويسارًا موجهًا أنظاره إليها، عاد من جديد وجلس القرفصاء جوار رأس الجُثة المُهشمة، نظر لها لثوانٍ معدودة قبل أن يشير لسكرتير مكتبه المتواجِد معه أن يُسجِّل ما سيمليه عليه في محضر التحقيق، وبدأ «تميم» بصوتٍ واضح:

– أنه في ساعته وتاريخه.. وبناءً على إخطار من نجدة المُقطَّم.. انتقلنا نحن «تميم عبدالفتاح علي» وكيل نيابة المُقطَّم إلى مكان الحادث.. لمعاينة مسرح الجريمة.. وبمناظرة الجُثَّة تبيَّن أنه شابٌ في أوائل العِقد الثالث من عُمره.. طويل القامة.. متوسط البنية.. مُجعّد الشعر وكثيف.. ذو لحية خفيفة.. يرتدي ملابس أفرنجية.. يوجد كدمات عديدة بأماكن مُتفرقة بالجسد.. وجرح نافذ بأعلى الرأس.. وبعض الجروح السطحية في منطقة البطن والفخذين.

وأقفل المحضر عقب إثبات ما تقدم، وقررنا الآتي:

أولًا: تُطلَب تحريات المباحث حول الواقعة وظروفها وملابساتها وبيان عمَّا إذا كانت تحوي ثمة شُبهة جنائية من عدمه.

ثانيًا: يُنتدب أحد السادة من الأطباء الشرعيين بتوقيع كشف الصفة التشريحية لجثة المتوفَّى إلى رحمة الله تعالى/ أحمد راضي حامد. وبيان الإصابات التي بها وسببها وكيفية حدوثها وسبب الوفاة وأن نوافى بتقرير مُفصَّل.

ثالثًا: نأمر بالتصريح بدفن جُثة/ أحمد راضي حامد. عقب تنفيذ البند الثاني.

أنهى «تميم» إملاء المحضر ووقَّع عليه وأمرَ سكرتير مكتبه أن يُرسِل صورة من القرار الوارد بمحضر التحقيق للعميد «عامر الشناوي». نظر«تميم» للجُثّة الملقاة نظرة لا تحمل شعورًا، مناظر اعتاد على رؤيتها بحُكم عمله، انتهى من مشاهدته الأخيرة للجُثّة ورحل، ومن ثم اتجه رجال الإسعاف لحمل الجُثَة من مكانها. استقرت جُثَّة المجني عليه «أحمد راضي» في تجويفٍ دائريٍّ يصل قُطره إلى السبعة أمتار تقريبًا، التهم قُطر التجويف المساحة كاملة من حافة الجبل وانتهى قبل الطريق الأسفلتي بمقدار الثلاثة أمتار تقريبًا، عمق التجويف في منتصفه حوالي نصف متر، والتجويف يقل تدريجيًا بالابتعاد عن مُنتصفه، ويجاوره تجويفٌ آخر مُماثل

بنفس الأبعاد والمواصفات، ولكنه كان خاليًا من كل شيء تمامًا، إلا الرمال وبعض الحصى.

انتهى الجميع من أعمالهم ورحلوا، ليبقى مرة أخرى في مكان الحادث العميد «عامر الشناوي» والرائد «حاتم عابد» وبعض العساكر والأفراد، فتوجه العميد «عامر» بأمره إلى الرائد «حاتم» بضرورة إنجازه تحريات تلك الجريمة وتمشيط المنطقة بأعلى الجبل وبالأخص عند الحافة، لم يأمر بغير ذلك لأن الجريمة لم تُنفَّذ إلا هكذا، تبتعد تمامًا عن الطريق ولا توجد آثارٌ للأقدام بينها وبين الطريق، ولا يوجد هناك احتمالٌ لإلقاء الجُثة من على الطريق إلى الرمال لابتعاد المسافة بعض الشيء، ثم توجَّه بالأمر للمُتبقين في المكان أن انصرفوا، وركب السيارة التي أتى بها وغادر، وترك الرائد «حاتم» مع العساكر والأفراد، وبعض كُتل الدماء المُنتشرة على حافة التجويف وبداخله، فأطلق الرائد «حاتم» شلالًا من الرمال بحذائه عليه ليُخفي آثار قطرات الدماء، فقللّ من التجويف قليلًا، ثم رحل.

فأحيانًا من شِدة شعورك بالغيظ، قد لا يكفيك شلالٌ رمليٌّ تُطلقه بإحدى قدميك، ربما تشكيل جبلٍ رمليٍّ قد يكون كافيًا.

* * *

الأربعاء.

١ يناير ٢٠١٤.

العاشرة صباحًا.

هندَم الرائد «حاتم» ملابسه ومسحَ وجهه بيده في إزالة لأيِّ آثار لعدم استكمال الإفاقة وهو في طريقه لطرقِ باب مكتب العميد «عامر الشناوي» الذي طلبه فأذن له بالدخول، ففتح الباب ودخلَ إلى غرفة مكتبه المُزيَّن بالأعلام المصرية وأعلام وزارة الداخلية بجوار مِقعده الجلدي الأنيق، على المكتب البني تراصت بعض الأوراق وأقلامٌ مُبعثرة عشقت الخروج من أماكنها لأداء عملها الذي افتقدته كثيرًا، مِقعدان يرقدان أمام المكتب، تقدَّم واحتل الرائد «حاتم» أحدهما بعد أن قدَّم التحية للعميد «عامر» الذي بادره بالسؤال واضعًا أطراف أنامله على جرس مكتبه:

– تشرب ايه؟

فأجابه «حاتم»:

– لأ، تسلم يا باشا.. لسه شارب قهوة من شوية.

فضغطَ العميد «عامر» الجرس ليدخل منه العكسري حاملًا سلاحه مؤديًا تحيته، فيأمر «قهوة مظبوطة»، ثم يشير له بإصبعين أن تراجع، ويتوجه بسؤاله مُجددًا إلى الرائد «حاتم»:

– ها.. إيه الأخبار؟

فيرد في ثقة:

– كله تمام سعادتك.. من ساعة اترحَّل العيال المحجوزين في قضية التعاطي من إمبارح على النيابة.. والملازم أول «عمرو صبحي» طلع مع كام عسكري وأمين بليل لبيت أهل الواد اللي لقيناه مقتول يبلغهم وعشان يروحوا يستلموا جُثته من المشرحة.. وبتمشيط المنطقة أعلى الجبل ملقيناش أي حاجة نهائيًا غير بعض آثار الأقدام لأشخاص مُختلفة كان من ضمنهم آثار أقدام المجني عليه وناس تانية منقدرش نحدد إذا كانوا موجودين كلهم في نفس اليوم ولَّا في أيام مُختلفة.. وآثار أقدام المجني عليه كانت كتيرة جدًا عند الحافة وبتقل كل ما تبعد عنها.

فهزَّ العميد «عامر» رأسه في رضا وأكمل أسئلته:

– طب تمام.. وده إيه حكايته؟

فأجاب «حاتم»:

– كل اللي وصلتله لحد دلوقتي.. اسمه «أحمد راضي حامد».. وفيشُه نضيف.. عنده تلاتة وعشرين سنة.. ساكن في الهرم.. متخرّج الدُفعة اللي فاتت من كلية الألسن.. وعاطل.

فردَّ العميد «عامر» بنبرته المُعتادة في إنهاء الحوار:

– طيب إبقى تابعني بالتحريات أول بأول.

فوقف الرائد «حاتم» مُجيبًا:

– أوامرك يا باشا.. عن إذنك.

انسحب الرائد «حاتم» خطوتين إلى الخلف دون النظر قبل أن يستدر ويتجه إلى الخارج ويفتح الباب ليجد أمامه العسكري مُحضِرًا القهوة التي طُلِبَت من دقائق، فتركه وتوجَّه إلى مكتبه المُشابِه لمكتب العميد «عامر» تقريبًا إلا بعض الفخامة والتنظيم، فخلع سُترة بذلته وعلَقها على مِقعده، ثم أداره وجلس عليه وأخرج هاتفه المحمول وطلبَ رقم الملازم أول «عمرو صبحي»، وعندما ردَّ بدأ الرائد «حاتم» الحديث:

– بقولك يا «عمرو».. إنت فين؟.. قُدامك كتير!.. طب أول ما توصل إدخل لي على طول.. سلام.

أنهى المُكاملة معه ورجع بظهره إلى الخلف قليلًا متمددًا بِمقعده، وبدأ في مُكالمة هاتفية جديدة مع زوجته طالت قُرابة العشر دقائق، وربما كانت ستستمر أكثر من ذلك، ولكن قطعتها خبطات المُلازم أول «عمرو صُبحي» المُتتالية على الباب، فأنهى مُكالمته ونحّى هاتفه جانبًا وسمح له بالدخول،

فدخل بقامته العالية وجسده النحيل بعض الشيء، مُبتسمًا رافعًا كلتا يديه وموجِّهًا بواطنهما إلى وجه الرائد «حاتم» في ترحيب:

– باشا.. صباح الفُل.

فبادله الرائد «حاتم»:

– صباح النور.. تعالى اقعد يا «عمرو» بيه.

فدخل الملازم أول «عمرو» وأغلق الباب خلفه وجلس مُستمعًا إلى سؤال الرائد «حاتم»:

– عملت ايه بليل؟

فأجاب «عمرو»:

– رُحت العنوان وسألت على مكانهم وطلعت خبّطت.. فتحت لي بت بطَّاية كده.. وأول ما شافتني قُدامها قلقِّت كده.. ظابط بقى!

فقاطعه الرائد «حاتم» ساخرًا:

– قلقِّت من دبورتين.. لأ الله يكون في عونها.. وبعدين.

فأكمل «عمرو»:

obeikandi.com

– يا باشا هي تفرق إيه دبورتين من عشرة.. أهو اسمي ظابط.. المُهم قولتلها مش ده بيت «أحمد راضي».. وشّها جاب ألوان وقالتلي آه.. بصراحة يا باشا أنا مرضتش أقولها هي عشان أكيد كانت هتصعب عليّا.. فقولتلها طب ووالدك موجود أو والدتك.. فراحت مناديّة أبوها.. جِه مخضوض هو كمان لما شافني.

فابتسم الرائد «حاتم» ساخرًا، وأكمل «عمرو» حديثه:

– فقولتله إحنا لقينا إبنك إمبارح بليل مقتول.. فِضِل مِبَلّم شوية كده والبت قعدت تصرّخ ولقيت أمها راحت خارجة وقعدت تصوَّت.. الصراحة مستحملتش.. رُحت ساحب الراجل في إيدي سلّمتين تحت وقولتله يروح يستلم ابنه الصبح من المشرحة.. ويعدّي على نيابة المقطّم وقت ما يفضى عشان التحقيق.. ورُحت سايبهم عمالين يصرَّخوا ونزلت.

فأضاف الرائد «حاتم» ساخرًا:

– ياسلام.. حنيّن طول عُمرك وقلبك رُهيّف يا باشا.. وهو فين دلوقتي؟

فتساءل «عمرو» بغرابة:

– هو مين ده؟

فضحك الرائد «حاتم» وهو يجيبه:

– أبو البطة يا حلو.

فرفع « عمرو» ياقة قمصيه مُفتخرًا:

– آه.. هو في المشرحة دلوقتي بس لسه هيستلم إبنه بعد شوية.

قالها وهو يمسح بيده على صدره في تفاخر، يريد إظهار بعض من الشجاعة وعدم تأثره سلبًا ببعض الجرائم التي قد يعاني منها بعض الضباط حديثي التخرُّخ.

فعدم تذوُّقَك لألم غيرك نعمة، وسعادة بعض الأشخاص تكمُن في سماع مصائب لا علاقة لهم بها، فيدركون أن مصيبتهم التي سيسعد بها غيرهم لم تأتِ بعد.

* * *

مساء الأربعاء.

في أحد الشوارع الجانبية العديدة المُتفرعة من شارع الهرم، أُقيم سُرادق عزاء «أحمد راضي» أمام منزله، تملّك السرادق من مساحة الشارع، أنارت الأضواء البيضاء الشديدة الشارع أغلبه، ولفتت إليها الأنظار

obeikandl.com

والتساؤلات، بدأ المُقرئ في تلاوة ما تيسَّر من القرآن الكريم، توافد العشرات على السُرادق لآداء واجب العزاء، تلقَّى العزاء بعضٌ من أهله وجيرته ووالده «راضي حامد»، الذي بلغَ من العمر خمسة عِقود، صلعاءٌ رأسه، طويل القامة، عيناه ضيقتان تترقرق الدموع فيهما وتتساقط على فترات، ارتدى قميص (كاروه) يتداخل فيه اللون الأسود بغزارة مع قليل من الفِضي، وبنطالًا قماشيًا أسودَ، وحذاء سوداء اكتسى بالأتربة الخفيفة، جلس على أول مقاعد السُرادق من الخارج مُسندًا جانب وجهه الأيمن على ظهور كفّيه المُمسكين بعُكّازه الذي لا يمشي به أبدًا، ولكنه يستخدمه الآن في الاتكاء؛ مقاوِمًا المصيبة التي أتته، مؤخرة رأسه إلى المُقرئ وصديقه «جمال» الذي يليه في المقاعد مرتديًا بذلة كاملة اكتست ألوانها أغلبها باللون الأسود، ووجهه ناظرًا إلى الخارج، وما إن رأى «إسلام جمال» يقترب من السُرادق حتى عدَّل من موضعه، فربما قد يعرف منه حقيقة ما حدث؛ فهو صديق مُقرّب لابنه «أحمد»، حضر «إسلام» بخطوة سريعة، وجهٌ قمحيٌّ تظهر عليه ملامح الحزن الشديد، شعر ناعم متوسط الطول، ذقن خفيفة غير مُهذبة، عينان سوداوان تتلألأ الدموع فيهما، مدَّ يده إلى «راضي» وبنظرة تحمل الكثير، ولكنها للحظة أهملت كل ما تحمله إلا

واحدة، لست وحدك من فقدت، قالتها عيناه قبل أن يضيف بفيه بصوتٍ يتملكه الحزن الشديد:

– البقاء لله.

فنهض «راضي» من مجلسه مُحتضنًا «إسلام» بشدة وبصوتٍ هادئ مُتغشلق ونبرة اقتربت من الهستيرية:

– فين «أحمد» يا «إسلام».. تعرف عنه حاجة؟.. ليه يتقتل يا «إسلام»؟.. هو عمل إيه طيب؟.. حد يقولي يا ناس.

هبطت إحدى الدموع المتلألئة في عينيْ «إسلام» على ظهر «راضي»، فخبط بباطن كفه خبطًا خفيفًا في مواساة مُبتعدًا عنه:

– هنعرف كل حاجة.. وإن شاء الله حقه هيجي من اللي قتله.

واساه «إسلام» ببعض الكلمات وأجلسه موضعه من جديد ودخل إلى مُنتصف السُرادق وجلس بمواجهة بعض من زملاء «أحمد» ينظر لهم ولصديقه «عادل» الجالس بينهم، يذهب ببصره بعيدًا وقريبًا يبحث عن شيء ما ثم يعود ليُثبّت النظر من جديد على «عادل» صاحب الوجه الذي لا يُظهر أي تعبيرات، وأخذ المُقرئ يتلو ما يتلوه في كُل سُرادق يذهب إليه من آيات تُحذّر من اللهو والغرق في مشاكل الحياة، والسهو عن الآخرة

ويوم الحساب، ليُنهِ قراءته أيضًا بنفس الآيات التي يُنهي بها أي قراءة في أي سُرادق آخر.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۞ ﴾.. صَدَقَ الله العَظيم.

وقف «راضي» ومعه مُتلقو العزاء، وبدأ البعض في الانصراف شيئًا فشيئًا إلى أن خلا السُرادق أغلبه وتبقى أقرب الأقربين فقط للفقيد ومعهم «إسلام» الذي أخبر «راضي» بضرورة تواجُده مع أسرته في الصباح في مقر نيابة المِقطّم، ودار حديثٌ طويلٌ بينهم.

استمر كثيرًا.

* * *

obeikandl.com

الخميس.

٢ يناير ٢٠١٤.

العاشرة صباحًا.

وقف «عادل» أمام مرآته بملابسه الشبابية الأنيقة المُهندمة كعادته، عيناه عسليتان، شعره كثيف لامع ومُهذَّب، حليق اللحية دائمًا، خرج «عادل» من شقته وأحكم إغلاقها من الخارج كعادته نظرًا لمعيشته مُنفردًا بعد وفاة والديه بحادث سير منذ ثلاث سنوات، نزل ليوقفه بأدبٍ، «رامي» عامل أمن العقار الذي يقطن به، صاحب الست وعشرين عامًا، بزِيِّه الرسمي من بنطالٍ كُحلي وقميص لبني وكتّافاته التي خُطّت عليها ثلاث شُرط صفراء اللون، طويل القامة، أبيض البشرة، ظهرت على «رامي» ملامح الحزن الشديد لمعرفته بوفاة «أحمد»، سأل «رامي» بصوتٍ هادئ مُتأدب:

– هو إيه اللي حصل بالظبط يا أستاذ «عادل»؟

فأوجز «عادل»:

– لقوا «أحمد راضي» مقتول أول إمبارح بليل في المقطّم.

فسأل «رامي» في عُجالة:

– وعرفوا مين اللي قتله؟

فأنهى «عادل» الحوار في تعجُّل قائلًا:

– لأ لسه هيحققوا وربنا يسهِّل ويظهر الحق.. عن إذنك بس عشان متأخرش على الشُغل.

تركه «عادل» ورحل، وجلس «رامي» حزينًا على مكتبه في مدخل العقار يتذكَّر ما كان يدور بينه وبين «أحمد راضي»، ويتذكر مُعاملته الجيدة.

جلس ليتذكَّر كل شيء لم يكن ليتذكره إلا في حالة واحدة فقط.. فُقدانه.

ففُقِدَ؛ ليُتذكَّر.

* * *

فتح «تميم» باب مكتبه الخشبي، مُعلقة عليه لوحة ذهبية كُتِبَ عليها بخطٍ راق «وكيل النائب العام»، أغلقه من الداخل وألقى «تميم» التحيّة على «رمضان» سكرتير مكتبه الذي تواجد قبله بقميصٍ قد ملَّ منه، ووقف مُتأملًا غرفة مكتبه لثوانٍ معدودة، ثم التقط سيجارة وأشعلها، وأكمل النظر وهو يتمشى ببطء تجاه مِقعده، مكتب بُني اللون تتقدمه لافتة ذهبية كُتب عليها «تميم عبدالفتاح علي» وأسفلها بخطٍ أصغر كُتب «وكيل نيابة المقطم»، والمكتب تكثُر عليه الأوراق والأقلام، أمامه مِقعدان تتوسطهما

منضدة زجاجية، علم جمهورية مصر العربية يتواجد بجوار المكتب، فاتجه إلى مِقعده الخاص وعلّق عليه سُترة بذلته كما اعتاد وجلس عليه وتحرك به إلى الأمام إلى أن تلاصق قميصه بحافة المكتب، وبدأ في تفقُّد بعض الأوراق لدقائق وتنظيمها، إلى أن طُرِقَ الباب، فأذن بالدخول، فدخل الحاجب وترك الباب مفتوحًا بعض الشيء وتقدم خطوتين إلى الأمام وقدَّم له ثلاث بطاقات تحقيق شخصية وقال:

– الناس دي واقفين برة عايزين يقابلوا سعادتك.

فتفحّص «تميم» البطاقات لثوانٍ وأمرَ في هدوءٍ:

– دخّل واحد منهم بس والباقي يستنّى.

فنحَّى «تميم» البطاقات يمينًا تجاه سكرتيره، وتراجع الحاجب مُجيبًا وخرج وترك الباب شِبه مفتوحٍ، وأذِنَ لأحدهم أن ادخل، فألقى السلام وتقدّم في هدوءٍ مُعرّفًا نفسه:

– أنا «راضي حامد».. والد...

فوقف «تميم» من مجلسه مُقاطعًا:

– أهلًا وسهلًا بحضرتك.. إتفضل اقعد.

فردَّ «راضي» ترحيبه بصوتٍ هادئ:

obeikandl.com

– أهلًا بحضرتك يا فندم.

فأكمل «تميم» بودٍ:

– أولًا طبعًا البقاء لله.

فردَّ «راضي»:

– ونعم بالله.. شُكرًا لحضرتك.

فبدأ «تميم» بسؤاله:

– أستاذ «راضي» حضرتك بتشتغل إيه؟

فأجابه «راضي» بصوتٍ مُعتدل:

– أنا كنت مُدرس لغة عربية تبع الوزارة.. بس دلوقتي بدّي دروس خصوصية بس وسِبت الوظيفة.

فسأل «تميم» ثانيةً:

– ممكن حضرتك تقول لنا إيه آخر اللي تمّ بين «أحمد» وبين حضراتكوا في البيت في آخر مرة شوفتوه فيها.

فتنهَّد «راضي» صامتًا لثانيتين قبل أن يبدأ في السرد.

* * *

obeikandl.com

صباح الثلاثاء.

٣١ ديسمبر ٢٠١٣.

خرجت «سلمى» من غرفة أخيها «أحمد»، وتَبِعَها مُتأخرًا ببعض الخطوات ليجد والده مُستقرًا بالخارج يُشاهد بعض البرامج الدينية التي يُقدمها الشيخ «وائل مرزوق»، فابتسم «أحمد» ساخرًا مع إمالة رأسه في بُطءٍ إلى اليمين ورجوعها أخرى في تعجُّب، فهل هُناك من ظِلّ يُتابع مُتصنّعي التديُّن، فألقى «أحمد»:

– صباح الخير يا حج.

فردَّ «راضي» ساخرًا:

– صباحيّة مباركة يا روح أمك.. خُش اتوضّى وصلّي الصُبح وإنزل هات لنا فطار.

فأضاف «أحمد»:

– أنا هنزل أجيب فطار الأول وأما أطلع هبقى أصلّي عشان ألحق الفُرن.

فلم يُعلِّق «راضي» عليه، رُبما لم يسمعه، فنزل «أحمد» من منزله كي يُحضِر ما أرادوا.

obeikandl.com

وبعد أن انتهى من إحضار كُل ما طُلِب واتجه ثانيةً إلى منزله، وبدأ يضرب باب شقتهم بخبطات مُتناسقة بدت كعازفِ طبول إفريقية مُحترف، حتى فتحت له «صفاء»، وجهٌ أبيض ممتلئ وعينان بُنيّتان وجسد سمين نسبيًا وقامة متوسطة، كانت «صفاء حسن السيد» والدته وابنة خالٍ لأبيه أيضًا، أخذت منه ما يحمل ودخلت به إلى المطبخ كي تبدأ في التحضير، توجه «أحمد» لغُرفته وفي طريقه ألقى نظرة على والده الذي ظلَّ في ضيافة الشيخ «وائل مرزوق» برغم أن الحلقة مُعادة، وبدأ للتو في اختتام حلقته بالدعاء المُعاد أيضًا، فأحكم باب غُرفته من الداخل حتى لا يقتحمها أحد.

فلو لم يكن هناك من يقتحمون الخصوصيات، لأصبحت الحياة أفضل، ولو قليلًا.

ضَغَط زر تشغيل الحاسب الخاص به، وفتح ضلفتي دولابه المتوسطتين، وأخرج من تحت أنقاضها دفتر الرسومات الخاص به الذي دسَّه بين خبايا الضلفة كي لا يتطّلع إليه أحد، فتحه وأخذ يُقلّب لوحاته ليتأكد من بقائه كما تركه، فتفقّده، وجد به سبع رسومات في أول ثماني لوحات، ولوحة واحدة فقط بيضاء تمامًا في نهاية الدفتر، فانتوى أن يقضي عليها هي الأخرى، الأخيرة والوحيدة التي باتت مُتاحة له، ورمى بدفتر رسوماته مرة أخرى داخل ازدحام الضلفة وأحكم إغلاقها، وتوجَّه إلى

حاسوبه الذي قد فُتِح، فدخل إلى الشبكة العنكبوتية وبدأ في تفقُّد ما يدور عليها، إلى أن قَطَعه خبط «سلمى» مرة أخرى على الباب مُمتزجًا بندائها:

– يالا يا «أحمد» عشان تفطر.

فأجابها:

– طيب جاي.

فترك حاسوبه مفتوحًا وخرج لتلبية النداء، ليتناول إفطاره.

وكعادة العائلات المصرية، لا إفطار بدون حديث، بدون توجيه، بدون تأنيب، بدون أوامر.

فبدأ «راضي» بالحديث إلى «أحمد»:

– جيت إمبارح إمتى؟

فأجاب «أحمد» بنبرة مُتلعثمة جراء التهامه لبعض اللقيمات المُتتالية:

– إتنين ونُص.

فبدأ «راضي» كعادته في التأنيب:

– كام مرة أقولك بلاش تأخير!

obeikandl.com

فشرب «أحمد» نصف كوبٍ من الماء قبل أن يضيف بنبرة أوضح من سابقتها:

– ما انت عارف بقى إمبارح الإتنين.. يوم الكورة وكدة.

فأكمل «راضي» مُتعجبًا:

– وهو مينفعش كورة إلا نُص الليل!.. طب إمبارح كان يوم الكورة وعديناها.. أما نشوف النهاردة.

فلمّح «أحمد» بتكرار تأخيره مُجددًا:

– مبنلاقيش حجز إلا الساعة واحدة.. طول اليوم الملعب بيبقى عيال صغيرة ومش هيرضوا بحجز بليل.. وبعدين النهاردة رأس السنة وكل سنة وإنت طيب بقى يا حج وكده.

فاستسلم له «راضي» ساخرًا:

– وحياة أمك!

أنهى «أحمد» إفطاره وعاد لغرفته مرة أخرى، وانتشل دفتر رسوماته من داخل دولابه وفتح صفحته الأخيرة وأخذ يتفنن في الرسم.

* * *

سأل «تميم» مرة أخرى:

– مكنش فيه مشاكل بينه وبين أي حد؟

فأجابه «راضي»:

– والله ما عارف.. في السِّن ده محدش بيحكي لأهله أي حاجة.. بس معتقدش لأن لو فيه حاجة توصّله لكده أكيد كان هيبان أو أحِس حتى بحاجة زي كده.

فاستمر «تميم» في السؤال:

– فيه أي حاجة حابب تقولها؟

فأجاب «راضي»:

– لأ يا أفندم.

فأمر «تميم» بودٍ مُشيرًا إلى سكرتير مكتبه:

– طب اتفضل حضرتك.

وقَّع «راضي» على أقواله وألقى التحية ثم اتجه إلى الخارج وأمر ابنته «سلمى» أن ادخلي، فارتبكت، فزاد وجهها احمرارًا، ودخلت بأعصابٍ مُضطربة وأقدام مُهتزّة وأعصابٍ شِبه مُنفلتة، ودموعٍ مُنجرفة، جلست

obeikandl.com

ونظرت في ترقُّب إلى «تميم» الذي بدأ في المناقشة الودّية بعض الشيء كي يُقلل من توتُّرِها، ولكنها دائمًا ما كانت تجيب بنبرة صوتها قبل أن تجيب بكلامها أنها ليست بحاجة إلى تعاطفٍ.

فسأل «تميم» جادًا:

– بتدرسي في كلية إيه؟

فأجابت باختصارٍ شديد:

– صيدلة.

فكرر «تميم» نفس السؤال الذي سأله لوالدها:

– قولي لي كل اللي حصل بينك وبين «أحمد» آخر مرة شوفتيه فيها بالتفصيل؟

فبدأت تحكي بصوتٍ غلب عليه الحزن كل ما دار بينهما في يومه الأخير بمنزلهم.

* * *

obeikandl.com

الثلاثاء.

٣١ ديسمبر٢٠١٣.

الحادية عشر صباحًا.

في عقارٍ مُطلّ على ناصيتين، الأولى شارعٌ فرعي، والثانية الشارع الرئيسي الذي يتفرع منه الأول، استقرت شقة وحيدة في الطابق الرابع من هذا العقار، تطرفت داخلها غُرفة تطلّ على الناصيتين معًا، تقع المنطقة بأكملها في منطقة الهرم بالجيزة، ملأت الشقة التي يسكنها «راضي» مع زوجته وأولاده أصوات من يسيرون بالشارعين، وخاصةً تلك الغُرفة المُطلّة على الشارعين معًا، غرفة بحجم طبيعي بها سرير واحد ودولاب مُتشقق بعض الشيء وكبير يستقر في مواجهة مكتبٍ مقابل له رقد أعلاه أشباه حاسوب آلي، كانت الأصوات بالشارعين مُختلطة ببعضها البعض لتُصدر خليطًا صوتيًا تجهله كل آلات العزف، صوت أهالي المنطقة ممزوجٌ مع نداء البائعين الذين عادةً ما ينتشرون بالشوارع صباحًا حتى أوقات الظهيرة وما بعدها، مع كثيرٍ من أصوات ماكينة صُنع الأكلة الشعبية الشهيرة «الطعمية»، كان مزيج هذه الأصوات صباحًا بمثابة المنبه الذي يُزعج «أحمد راضي حامد» صاحب الثلاثة وعشرين عامًا، وجههُ مُستديرٌ مُزينٌ بالذقن الخفيفة التي انتهجها الكثير من أبناءِ جيله كنوعٍ من مواكبة الموضة، ومن أجل أن ينال أيضًا إعجاب الفتيات، شعره مُجعَّد، طويلٌ جدًا، يقف دائمًا إلى أعلى ويرفض الخضوع، أيقظه مزيج الأصوات المتداخلة، ولكنه

ظلّ على سريره ينتظر من يدخل عليه ليوقظه كي يُعطي له الأمرُ الصباحي المُعتاد، وما إن سمع باب غرفته يُفتح فبدأ في اصطناع النوم، طلَّ من باب غُرفته؛ وجهٌ أبيض يميل إلى الحُمرة بشعرٍ حريري يُزينه نغزة واحدة على يمين الوجه، خُتم بطابع الحُسن بعناية، كانت «سلمى» أخته صاحبة العشرين عامًا هي من فتحَتْ باب الغُرفة، وأمالت عليه ونزعت الغطاء عن رأسه وبصوتٍ متوسط وضربة خفيفة في الكتف بدأت:

– قوم يا «أحمد» عشان تجيب الفطار.

فأكمل اصطناع نومه لتُلحقه بضربة ثانية وأضافت ساخرة:

– قوم يا عم متمثلش.. هو حد بيعرف ينام في الهدوء ده.

فأدار وجهه ناحيتها في اصطناع الإفاقة بنبرة مُتغشلقة:

– في إيه؟!

فأجابته «سلمى»:

– ماما بتقولك إنزل هات فطار.

فسأل ثانيةً:

– وأبوكي فين؟

فأجابت:

– برّة بيتفرج عَ التليفيزيون.. يالا قوم.

فأنهى «أحمد» الحوار قائلًا:

– طيب جاي.

فخرجت وخرج مُتأخرًا ببعض الخطوات.

وفي السادسة والنصف مساءً أنهى «أحمد» مكالمة على هاتفه وبدأ في تغيير ملابسه وتهيئة نفسه للنزول وأخذ معه دفتر الرسومات الخاص به الذي لا يُفارقه أبدًا، وخرج من باب غُرفته ليجد «سلمى» أخته هي من احتلت مكان أبيها أمام التلفاز، فأدارت وجهها تجاهه سائلة:

– رايح فين؟

فكعادته رفض سؤالها وتدخُّلِها فيما لا يعنيها:

– وإنتي مالك.

فأكملت مُسرعة:

– طب ثواني عايزة أقولك حاجة.

obeikandl.com

فرفض أن يقف وأكمل طريقه:

– أما أبقى أرجع.. سلام.

أجابت في نفسها أن تخبره بما تريد حين يرجع، ولكنّها لم تُفكِّر فيما إذا لم يرجَع!، ربما لو علمت احتمال عدم عودته لما تركته يخرج، ليس لتخبره بما تُريد ولكن لمُجرّد أن تبقيه.. تبقيه وفقط، ولكنه أغلق الباب.. وخرج.

فالبعض منا يعتقد أن ملك الموت يأتي مُجهزًا بجرسٍ يدق قبل بدء عمله بيومين، فيُنتظر الجرس كثيرًا.. ولكنه لا يأتي أبدًا.

* * *

أنهت «سلمى» سرد تفاصيل يومها الأخير مع أخيها، ولكنها لم تُنهِ دموعها التي استمرت في الانجراف بغزارة، سأل «تميم» ثانيةً:

– وكنتي المفروض هتقولي له إيه؟

فسكتت «سلمى» لثوانٍ تمسح دموعها قبل أن تضيف:

– حاجة شخصية معتقدش إنها هتفيد في حاجة لو قولتها.

ففسر «تميم» لها بهدوء:

obeikandl.com

– آنسة «سلمى».. مهما كانت حاجة ملهاش لازمة من وجهة نظرِك ممكن جدًا تفيدنا.

سكتت هنيهةً تُفكر وأكملت:

– كان فيه واحد عايز يتقدِّم لي وكنت عايزة أقولُّه هو قبل ما أقول لبابا.

قالتها وانفجرت في البكاء لدقائق، ولم تقدِر على تمالك أعصابها مُجددًا، فاضطر «تميم» الاكتفاء مؤقتًا بأقوالها التي يعتقد بأنه لن يستفيد منها، فوقَّعت بأعجوبة على أقوالها ودخل عليهم والدها وأخذها وخرجت معه وأمرهم «إسلام» أن ارحلوا، فلم يعد هناك جدوى من وجودهم، فتركوه ورحلوا، ثم دخل «إسلام» إلى مكتب «تميم» ليروي له ما يعرفه.

* * *

صباح الثلاثاء.

خرج «أحمد» من منزله وذهب إلى المخبز أولًا، فالتقى هُناك بصديقه «إسلام جمال إبراهيم» ابن صديق والده «جمال»، فكما كان الأبوان أصدقاء، فأصبح الأبناء أصدقاء أيضًا، «إسلام» صاحب البشرة القمحيّة المائلة للسواد والشعر المُجعّد الذي أصبح موضة أيضًا تُنتهَج في هذه

الأيام، وذقنٌ خفيفة غير مُهذبة، قامته تزيد عن قامة «أحمد» ببعض السنتيمترات، فبدأ «إسلام» ساخرًا:

– مبروك عليكوا ماتش إمبارح يا زباين.

فرد «أحمد»:

– يا عم إنت مودينا ملعب تعبان ومنزلني في فرقة كحيانة.. لازم يبقى مبروك علينا.. ومتنساش بس ماتشين الأسبوع اللي فات.. مرة ليك ومرتين عليك بقى.. وأوعدك ياعم إن الإتنين الجاي مش هتشموها.. بس إحجز في ملعب نضيف ومتستخسرش.

فابتسم «إسلام» مُضيفًا:

– قول يا رب.. المُهم.. هتيجي عيد ميلاد البت «ساندي» النهاردة؟

فأجاب حائرًا:

– والله بفكر.. بس معييش فلوس أجبلها حاجة.. فبفكر أفكِس.

فأيده «إسلام»:

– ومين سمعك.. أنا مأشفر.. بس إنت أمرك سهل.. إنت بتعرف ترسم.. ارسملها صورة وخُدهالها.. وأنا زي ما إنت عارف.. موظف وآخر الشهر يحكم.. هروحلها بالباراشوت.. إشطه يعني.

فاستفسر منه:

– هيّ عاملاه فين؟

فأكمل «إسلام»:

– في كافيه كده جمب بيتها في المقطّم.. هستناك أنا والواد «عادل» على سبعة كدة.

فسأل «أحمد» مُتعجبًا:

– وإنت لازم يعني تجيب لنا أم الخِلقة دي معاك؟!

فرد «إسلام»:

– عازماه يا عم زي ماهي عازماك.. هو بمزاجي يعني.. فُكك منه بقى وإنجز وظبّط حالك كده.

فأنهى «أحمد» حديثه قائلًا:

– يا عم أما نِخلَص مِن (...) أم الطابور ده الأول.

فالتفت له رجلٌ يصطف أمامه ينظر له في تذمُّر.

* * *

obeikandl.com

شعَرَ «تميم» باحتمالية الإطالة فتنهَّد سائلًا:

– تشرب إيه يا «إسلام».

فأجاب «إسلام» بالرفض، فأشعل «تميم» سيجارته وطلب من «إسلام» أن يُكمل حديثه.

* * *

في السادسة والنصف رنّ هاتف «أحمد»، كان «إسلام» هو المُتصل وسأل:

– إيــه.. جاي ولا الدور الجاي؟!

فأجابه «أحمد»:

– جاي ياعم.. هقوم ألبس أهو.

فرد «إسلام»:

– طب يالا.. هستناك عند الواد «عادل».. سلام.

ثم توجه إلى مدخل عقار صديقهما «عادل»، فدخل إلى عامل أمن العقار «البُرج»، وقام بالاتصال بصديقه «إسلام» يطلب منه أن يتعجّل،

opeikandi.com

وبدأ في الحديث إلى «رامي»، إلى أن وصل «إسلام» مُصطحبًا معه «عادل»، ذلك الكائن صاحب الاثنين وعشرين عامًا الذي لا يتقبله «أحمد» في الأوقات أغلبها، كان «عادل» مُهندّمَ الملابس وحليق اللحية كعادته، كان صديقًا لهما منذ الصغر أيضًا، وكان «أحمد» لا يتقبله منذ الصِغر أيضًا.

– إزيك يا «أحمد».

ألقاها «عادل» مُبتسمًا ابتسامة رسمية.

فبادله «أحمد» ابتسامته الصفراء وأجابه:

– تمام وإنت عامل إيه؟

فردَّ «عادل» مُبتسمًا:

– تمام.

ثم خرجوا جميعًا عدا «رامي» يقصدون المقطّم.

* * *

opeikandi.com

في تمام التاسعة وصل «أحمد» و«إسلام» و«عادل» إلى أحد الكافيهات القابعة بالمقطم، بالتحديد بميدان النافورة، دخلوا ثلاثتهم من الباب وكانت في استقبالهم صاحبة الشأن، «ساندي»، وجهٌ أبيض صباحًا ذهبي ليلًا، شعرٌ ذهبي يميل إلى البُنّي يتخلله بعض الخُصَل السوداء، فُستانٌ قُماشيٌ ناصع البياض طوله مترٌ واحدٌ فقط، يبدأ من رُكبتيها ليكشف عن ساقيها النحيلتين، وينتهي فوق صدرها، انتظرتهم «ساندي» كثيرًا كي يبدأ بقية أصدقائها وصديقاتها في مراسم الاحتفال بمرور ثلاث وعشرين سنة على مولدها، ولم يطل الوقت كثيرًا كي يبدأوا، فالتفوا جميعًا وبدأوا في الغناء مُهنئين وفرحين ومُبتسمين، وما إن انتهوا من مراسم الاحتفال حتى رجع الجميع إلى أماكن جلوسهم وبدأ البعض في تهنئتها ومُهاداتها، وتوجَّه لها «أحمد» مُبتسمًا مُمسكًا بدفتر رسوماته، وقبل أن ينطق واجهته «ساندي» رُبما ساخرة ورُبما مُتمنية:

– رسمتني في الإسكتش كله ولا إيه.

فضحك «أحمد» ضحكة عالية ورد:

– لأ مش الإسكتش كله.

وبدأ في تقليب اللوحات تباعًا دون أن يجعلها تنظر عليهم وما إن وصل إلى اللوحة الأخيرة حتى أدار «الاسكتش» ناحيتها:

– ها.. إيه رأيك؟!

فابتسمت ابتسامة عريضة قبل أن ترد بصوتٍ عالٍ بعض الشيء لمقاومة أصوات بعض الأغنيات:

– الله.. حلوة أوي.

فردَّ «أحمد»:

– معلش بقى ملحقتش أجبلها برواز وأنا جاي.

ماذا لو تم تركيب جهازٍ لكشف الكذب على كُل فم، وكانت مهمته أن يُغلقه قبل أن يتحدث كذبًا، ربما قد تصل نسبة الأفواه المُغلقة أبديًا إلى التسع وتسعين بالمئة، وربما لن تصل إلى هذه النسبة وحسب، فقد تزيد.

فرحت كثيرًا بها وردّت:

– ولا يهمك يا «أحمد».. ربنا يخليك يا رب.

فانتزع صورتها من داخل دفتره وأعطاها لها ثم توجه إلى حيث يجلس بقية أصدقائه، وقبل أن يصل إليهم أمال «عادل» على أذُن «إسلام» وأخبره بشيءٍ ما، وعندما عاد «أحمد» نهَضَ «إسلام» في إجابة لرنين هاتفه وبصوتٍ مسموع تائهٍ وسط صخب الأصوات:

– عن إذنكوا يا رجالة.

فتهكّم «أحمد» ساخرًا:

– الله يسهلُّه يابا.

فردّ «إسلام»:

– كُل عيش ياض.

فخرج «إسلام» وغاب حوالي نصف ساعة أو تزيد، فهكذا مُكالمات العشق دائمًا، تطل.. ولن تشعر بغير قِصَرِها.

وعندما عاد للداخل فلم يجد أيًا منهما، فانتظرهما كي يرجعا، وهو يتأكد من عودتهما، سيعودان ليلتقطا مُتعلقاتهما، وسيعود «أحمد» ليأخذ دفتر رسوماته الذي لا يتركه مع أي شخصٍ كان، ولكنهما لم يرجعا، حاول «إسلام» مُهاتفتهما ولكن لا إجابة، حتى ملَّ من الانتظار الذي طال للساعتين تقريبًا، ففقدَ الأمل في رجوعهما، فالتقط مُتعلقاتهما وغادر المكان واتجه إلى بيته مُجددًا.

* * *

نفَثَ «تميم» دُخان سيجارته سائلًا:

– ومعرفتش راحوا فين بعدها؟

فاستطرد «إسلام»:

– أول حاجة عرفتها عن «أحمد» بعدها نفس اليوم في الفجر لما والده كلمني وقال لي اللي حصل.. وعن «عادل» أول مرة شُفته بعدها في العزا.

فسأل «تميم» ثانيةً:

– و«عادل» كان بيقولك إيه قبل ما «أحمد» يرجع يقعد معاكوا؟

فأجاب «إسلام» واثقًا:

– «عادل» كان مُعجب بـ «سلمي» أخت «أحمد» وكان عايز يتقدّم لها وهو كان واخد رأيها وهي موافقة.. وعايزني أنا أفاتحه في الموضوع ده بما إني قريب منه أكتر.. بس مرضتش وقلت له كلمه إنت.

فأنهى «تميم» سائلًا:

– فيه أي حاجة حابب تقولها؟

فاعتدل «إسلام» في جلسته واندفع مُجيبًا:

obeikandl.com

– أنا أخدت اسكتش رسومات «أحمد» – الله يرحمه – اللي سابه في الكافيه عشان أديهوله أما أشوفه تاني.. ومرضتش أفتحه عشان هو كان بيرفُض إن أي حد يشوف اللي جوّاه.. خصوصًا الاسكتش ده بالذات.. كان كل فترة يجيب اسكتش جديد ويرسم عادي ويورينا وبعد ما يخلص يرميه.. الاسكتش ده معاه من تلات سنين تقريبًا.. غيَّر في التلات سنين دول حوالي اتناشر اسكتش ورماهم كلهم بعد أما بيخلصوا.. إلا ده.. ولكن بعد اللي حصل أنا قلّبت فيه لأول مرة من الفضول عشان أعرف ليه مخبيه عن أي حد.. ولقيت فيه سبع رسومات هو اللي راسمهم.. أغلبهم رسومات لأشخاص.. فيه منهم اللي أعرفهم وفيه منهم لأ.. وفيه رسومات غريبة وفيه حاجات مفهمتش منهم حاجة.. هو أنا لحد دلوقتي مش فاهم حاجة بس أعتقد الاسكتش ده وراه حاجة.. الله أعلم إيه هيّ.

فسأله «تميم»:

– طب ومجبتش الاسكتش ده معاك ليه؟

أجاب «إسلام»:

– أنا كنت جاي هنا مع عم «راضي» وبنته.. ولو كانوا شافوه معايا أكيد كانوا هيصرّوا إنهم ياخدوه ويحتفظوا بيه كذكرى يعني.. فأنا قُلت أخليه المرة دي.. ولما نشوف اللي فيه ونعرف حكايته إيه وبعدين هبقى أوديه ليهم إن شاء الله.

فردّ «تميم» مُنهيًا الحوار:

– طيب بلّغ «عادل» صاحبك إنه يجيلي ضروري وقت ما يفضى.. وياريت الكلام ده يكون قبل يوم الحد.. وتعالى معاه وهات الاسكتش.

فنهضَ «إسلام» ووقَّع على أقواله وخرج، وأجرى مُكالمة هاتفية مع «عادل» أخبره فيها بضرورة تواجده يوم الأحد في مقر نيابة المُقطَّم، وأنهى معه المُكالمة وبدأ في مكالمة أخرى مع «ساندي» التي لم تكُن تعلم شيئًا عمَّا جرى، فصدمها..

وأخبرها.

* * *

الجُمعة.

٣ يناير ٢٠١٤.

الحادية عشر والنصف صباحًا.

خرج «راضي» من منزله بجلبابٍ أبيض تتلاشى منه بقع المياه من أثر الوضوء ببطءٍ، مُتجهًا إلى المسجد كي يؤدي صلاة الجُمعة، سار ببطءٍ شديدٍ على غير المُعتاد، غاب في شروده فلم يُلقِ السلام على أصحاب المحال في الجوانب المُجاورة كما اعتاد.

تتعاقد الشمس مع الأرض على زيادة درجاتها في يوم الجمعة، فكانت هناك بعض الرياح الباردة تقاومها شمس شديدة الحرارة وتزدادُ شدة لتدفعه لمزيد من السرعة والتحرُّك ولكن بلا جدوى، وبعد دقائق قليلة وصل إلى داخل المسجد وجلس، رُفِعَ الآذان فقام لأداء صلاة السُنَّة وجلس ثانيةً، فأخذ يُسبِّح ربُّه، ويتذكَر فقيده، ونزل بوَجنتيهِ على قبضتي يديه واستند بمرفقيه على فخذيه، وشَرَدَ طويلًا.

فدائمًا إذا أردت أن تغيب عن وعيك، تُفكِّر، تتألم، تحلُم، تتذكَّر، تتمنى، فقط اهبط بوَجنتيك على قبضتيْ يديك.

* * *

الأحد.

٣ أغسطس ١٩٨٦.

العاشرة صباحًا.

قد أتى اليوم الذي طالما انتظره «حامد عبدالمنعم»، لم يتوقف «راضي» عن التوقُّع، يتمنى أن يُغلق عينيه ويفتحهما ليرى المُهنئين بالنجاح، ينتظر دخول أمه على غير العادة لتوقظه كي يذهب لمعرفة النتيجة، النتيجة التي ستُحدد مصيرهما سويًّا، المصير الذي سيُرضي طرفًا دون الآخر.

وقفت «سنية» أما باب إحدى غُرف الشقة المتواضعة الذي بات مُتقشرًا دهانه، فأمسكت مقبضه الذي أكله الصدأ وفتحته ليصدر صوتًا بإمكانه أن يحل محل بعض الدِيَكَة صباحًا في إيقاظ أهل قرية «كفر الكوادي» بمركز «مطاي» في محافظة «المنيا»، ثم توجهت إلى مُنتصف الغرفة التي خلت من كل ما يُزيِّن الغُرف، ونظرت إلى «راضي» الذي لم يُصَب بالاشمئزاز عند دخولها الغُرفة هذه المرة، لم تؤثر عليه المعزوفة الموسيقية الناتجة من باب الغرفة الذي فتحته «سنية»، كان «راضي» مُستيقظًا في سريره صاحب الزقزقة المُقلقة، غارقًا في التفكير، لم يُهمل في تفكيره ما تبقى من عائلته في «المنيا» وبالأخص في «كفر الكوادي»، اندهشت «سنية» من إفاقة الجُثَّة الهامدة دائمًا، كانت تسرد في عقلها «الغول، العنقاء، الخِل الوفي، إفاقة راضي»، حاولت التعايش مع الأحلام الُمتحققة المُتمثلة في إفاقة «راضي»، تميزت الغرفة ببعض الفنون التي تحُث على التفكير فيها من عُمق انشقاقاتها وتداخُل الألوان الذي جعلها تبدو كلوحة فنية، ثم توجهت إلى الحائط المُجاور للشارع تنتزع فراش السرير المُعلَّق على نافذة الغرفة الذي حلّ بدلًا من الستائر، قذفت النافذة بقبضتيها كي تجعلها تتعلم كيفية السير في الاتجاه المُعاكس مائة وثمانين درجة حتى تصطدم بنفس الحائط المُعلَّقة عليه من الخارج، ليتناسق صوت اصطدام النافذة بالحائط مع صوت الباب الذي يتأرجح يمينًا ويسارًا ناشدًا معزوفته الخاصة، اخترقت الشمس الغرفة الهالكة وأضفت إليها المزيد من

الدفء، كما أضفت اللون الذهبي على الأفدنة المُخضرَّة المواجهة للنافذة، نظرت خلفها حيث استقر سرير مُعتّق اكتست ألوانه بالصدأ المُتداخل في الفِضّي ليبدو عليه الانتهاء إكلينيكيًا ثم سألت:

– إنت صحيت؟!

برغم رؤيتها له وهي تعرف إجابة ما تسأل، إلا أن هذا السؤال قد يكون طبيعيًا أحيانًا لبعض الكائنات التي قليلًا ما تستفيق من غيبوبتها، فأومأ بالإيجاب، فأضافت:

– مش عوايدك يعني.

فأجاب «راضي»:

– جِلجت ومنعستش بعديها تاني.

فأردفت «سنية»:

– طب جوم إلبس هُدومك على بال ما أعملك كوباية شاي.

تركته «سنية» مُتجهه إلى ما يُشبه المطبخ لتحضير كوبٍ من الشاي، كان المطبخ شديد الضيق، يكتسي باللون الأصفر المُتداخل في الأتربة الدهنية، وقتها كان يناضل «راضي» نضال «سعد زغلول» في ثورة ١٩١٩ ليبتعد عن كسله وعن سريره ولكن «مفيش فايدة»، فانتفض مرة أخرى ليقفز

obeikandl.com

داخل ملابسه التي ملَّت منه كثيرًا، فخرج مُرتديًا بنطلونًا أسود قُماشيًا وتي شيرت أصفر مُقلدًا لماركة «كيلڤن كلاين» وكاسكيت سوداء يرتديها مقلوبة حماية من الشمس، ولبّى نداء مشروبه في الخارج فذهب إليه وهو يعرف أن هناك حوارًا ما سيدور، ويعرف أيضًا ما سيُسأل فيه، ورغم علمه به يرفض أن يفكر في إجابة له، يرفض أن يفكر في غير ما هو ذاهبٌ إليه، وما أن بدأ في احتساء مشروبه إلى أن بدأت «سنية» في إلقاء أسئلتها واحدًا تلو الآخر:

– خت جَرَار هتعمل إيه؟ هتسافر ولا هتُجعُد؟ طب هتشتغل إيه؟ وآني؟

ولكن «راضي» لم يُجب على كل هذه الأسئلة رغم توقعه الصحيح لها، وأوجز قائلًا:

– هشوف النتيجة وأما أرجع نُبجى نِتكَلم إن شاء الله.. سلام.

فردت «سنية» ساخرة:

– روح يابني ربنا ينچحك ويكملك بعجلك.

فقد فهمها «راضي» بالطريقة التي قصدتها «سنية» بأن السفر لمصر قلة عقل، فابتسم «راضي» من جانب وجهه الأيمن فقط وأدار وجهه ثم خرج من منزله، ليُكمل روتينه.

فلماذا لا يُدبَّر شيئًا للقضاء على الروتين نهائيًا، المنزل، الغُرفة، الملابس، المشروبات، الأصدقاء، الأسئلة، التفكير.. إلخ.

كل شيء أصبح مُعادًا ومُكررًا، حتى وجود «جمال» أمام المنزل كلما فُتح الباب.

خرج «راضي» ليكمل الروتين قصته ويُرسل له «جمال» بوجهه القمحي المائل للسواد والذقن التي طالت عن الحد وتنتظر رؤية الأمواس بشغف، كان «جمال» مرتديًا بنطلونًا من الچينز وسُترة جلدية سوداء استقر أسفلها «تي شيرت» فاقعٌ باللون الأحمر، كاد «جمال» يطرق الباب لولا أن سبقه «راضي» بالخروج، فرحَّب به «راضي» بابتسامة على غير العادة، وتوجها سويًا مُضطربين الأعصاب إلى مبنى جامعتهما المُعتّق، فكان الصمت هو السائد بينهما حتى وصلا إلى الطريق الرئيسي في انتظار ما قد يأتي لينقلهما إلى بوابة كبيرة كُتِبَ عليها بخطٍ يدوي تقشَّر من أشعة الشمس لفترة طويلة «جامعة المنيا»، وتوجها بسؤالهما لعم «مجاهد»، خفير تلك البوابة الذي لا يُفارِق كوب الشاي يديه:

– نتيچة دار علوم ظهرت ياعم «مچاهد»؟

فردَّ «مجاهد»:

– مَعرِفش والله يا أساتذة.. خُشّوا اسألوا چوة.

وقتها كانت تجلس «سنية» فى مدخل المنزل على أريكة حملت رداءً أبيض فوق ردائها الأساسي، تستند بكوعيها على وسادتين جامدتين تراصَّا فوق بعضهما في منتصف الأريكة التي تستند بدورها على حائط اكتسى باللون اللبني تداخل مع انشقاقاته، وتستند «سنية» بنظرها على الحائط المُقابل الذي اكتسى بنفس اللون وأخفى انشقاقاته صورة مُعلَّقة لزوجها عليه، فجلست في صمتٍ تام تتذكر زوجها «حامد» وحياتهما معًا قبل وفاته منذ ثلاث سنوات، ثلاث سنوات حملت الكثير من الآلام والذكريات التي لا تؤلم إلا المُتذكِّر فقط، وتذكّرت أيضًا فيها كيف تغيرّت مُعاملة «راضي» للأسوأ بعض الشيء، وكادت تبدأ في ذرف الدموع قبل أن تمنعها ذكرى جميلة تذكرتها لترسم بصعوبة ابتسامة على وجهٍ لا يعرف غير الشحوب ولم يشهد أيَّ ابتسامات منذ فترة طويلة، وتباينت الذكريات المارّة على عقل «سنية»، فقد استمرت في سرد الذكريات لأكثر من ثلاث ساعات حتى أفاقت وأزالت الابتسامة من على وجهها قبل أن تمسح عينيها من الدموع التي كادت تنجرف.

وصلا الصديقان إلى مبنى الكلية فدخلا في صمتٍ تام ليجدا بعض الطُلاب مُدققين أنظارهم إلى الحائط، يمشون بنظرهم يمينًا ويسارًا تارة، وأعلى وأسفل تارةً أخرى، ليقفوا بأنظارهم مرة أخرى على نقطة ثابتة في الحائط ثم ينقلبون بعدها إلى حالة من الفرحة العارمة، أو حالة من الحُزن الشديد، فنظرا الصديقان إلى بعضهما وكانت عينا كلّ منهما تحملان الكثير

من الحديث، وقررا في صمتٍ تأجيله إلى بعد السير بأنظارهما على الحائط، فأخذا يُملّقان أنظارهما في الحائط باحثين عن اسميهما بين كل هذه الأسامي، وهكذا إلى أن وصل «جمال» إلى اسمه ليجده ومكتوبًا أمامه «ناجح – ج»، لينظر بعدها إلى «راضي» بوجهٍ تملأه السعادة قائلًا:

– أنا نَجَحت يا «راضي».

فلم تؤثر فيه هذه الجُملة، واستمر في بحثه عن اسمه إلى أن جاوره «جمال» وأضاف:

– إيه.. لسه ملجتش اسمك؟

فيُشير باصبعه نحو الحائط قائلًا:

– أهو.. «راضي حامد عبدالمنعم».. «ناجح – م».

– ألف مبروك يا «راضي».

فارتميا في أحضان بعضهما فرحين بنتيجتيهما، واتخذا طريقهما إلى الخارج والسعادة تنطلق من عينيهما ويبثان التفاؤل تجاه من يُقابلهما، حتى وصلا إلى بوابة الخروج حيث إقامة عم «مجاهد»، الذي لم يستغرق كثيرًا حتى يتعرَّف على نجاحيهما من سعادتهما البالغة ليخاطبهما:

– شكلُكم كِدِه نجَحتُم.

فيرد «راضي»:

– هو باين علينا جوي إكدِه.

فأدي «مجاهد» واجبه على أكمل وجه بردّه:

– أومااال.. عَ العموم ألف مبروك.

فضرب «جمال» بيده داخل جيبه:

– خُد ياعم «مچاهد».. مش خُسارة فيك چنيه بحاله أهو.

فرد «مجاهد»:

– ربنا يخليك يا «چمال» يابني.

فانصرف عنه «جمال» حين واجهه «راضي» ضاحكًا بصوتٍ مُنخفض بعض الشيء:

– هو نُص وأنا نُص.. هاه!

قالها ولحق بصديقه منصرفين إلى حيث جاءا ليبدأ بينهما الحديث المُطوَّل الذي عادةً ما يلتهم مُعظم وقت عودتهما، فيبدأ «جمال» بسؤاله:

– إنت اتفجت مع أمك هتعمل إيه؟

obeikandl.com

فسكت «راضي» ثانيتين وأجاب:

– لاه لسة.. ومش عارف أعمل إيه.

فنصحه «جمال»:

– إعمل اللي يلدّ عليك يا «راضي» بس متبعدش عنّيها.. أمك ملهاش غيرك يا واد.

فطمأنه «راضي»:

– ومين جالك يا جِفل إنى هسيبها هنِه.. أنا أما أعاود هكلمها وربك يسهّل بجى.

فردّ «جمال»:

– بَعيدًا عن المِناجشَة البيزنطية دي.. آني آه مبحبش التطفل.. بس أنا هاچي معاك وإنت بتكلمها.. زي حكم بيناتكم يعني.. وهبجى واجف في صفها برضك.. يعني تِجدر تجول إكدِه حكم مُرتشي.

فأجابه «راضي» ساخرًا:

– إيه يالا برود أهلك دِه.. عِندك غتاتة محصلتش.. حوار عائلي تتدخل فيه ليه.. عَ العُموم إبجى تعالي يا چمال يا غندور.. وتعالى نشوفلنا أي حاچة توصِّلنا في ليلتك دي.

فأحيانًا لا يُجدِ الكلام شيئًا مع من افتقدوا اتخاذ قراراتهم لفترة، وسُنِحَت لهم الفرصة من جديد.

وما إن وصلا إلى قُرب منازلهم حتى سمعوا مؤذن «كفر الكوادي» يقيم أذان الظهر فتوجه «جمال» لـ «راضي» قائلًا:

– تعالى ندخل نصلّي الضُهر.

فرد «راضي»:

– تعالى نخش عندي بس ونصلّيه چوه.

فرفض «جمال»:

– يالا يا چدع عشان ناخد ثواب الچماعة.

فأطاعه «راضي» مُتمتمًا:

– ماهو إحنا الاتنين بس يُبجى چماعة برضك.

فخرجا من صلاة الظهر متوجهين إلى منزل «راضي» الذي فتح الباب مُناديًا «سنية»:

– يامّا.

ولكنها لم تسمعه، فأخذ يتناوب مع صديقه النداء عليها:

– يامّا.

– يا أمو «راضي».

– يامّاااا.

إلى أن دخل «راضي» غُرفته ليجدها مُلقاة أرضًا بجانب سريره العتيق، فيقف لثانية صامتًا ناظرًا إليها قبل أن يُسرع نحوها، ليتبعه «جمال» الذي كان واقفًا بخارج الغرفة لا يدري ما يحدث، وما إن وصل لباب غُرفة «راضي» ورآه وهو يرفعها على سريره قبل أن يخاطبه بلهجةٍ مُسرعة:

– روح شوف الدكتور «چابر» في المستوصف بسرعة وهاته فـ يدّك يا «چمال».

فسحب «جمال» جسده بهدوءٍ تام وعنقه يرفض مُغادرة الغرفة، وعيناه مُتشبثتان برؤية والدة صديقه مُلقاة على السرير، فبذل مجهودًا كبيرًا في إقناع عُنُقِه وبالأخص نظره، ترك الغرفة والهروب من المنزل إلى حيث أمره صديقه، وعاد سريعًا مُصطحبًا معه الدكتور «جابر» رغم بُعد المسافة بين المستوصف والمنزل، فانتفض «راضي» واقفًا وانحسر الكلام بداخله، ولم ينتظر الدكتور «جابر» توجيهات من كليهما ليُخرِج أدواته ويبدأ في الكشف عليها مخاطبًا بهدوءٍ:

– كوباية ميّة.

فمرّت ثانيتان لم يتحرك فيهما «راضي» من مكانه وكأنه لم يسمع شيئًا، وقبل أن تمر الثالثة نظر إليه «جمال» نظرة سريعة وانطلق ليحضر ما طلبه الدكتور «جابر»، وعاد سريعًا مُحضرًا ما طلبه ليجده انتهى من الكشف عليها مُخاطبًا:

– إتفضل يا دكتور.

فأخذها منه ووضعها على الكومود المُجاور للسرير:

– خلاص.. ملهاش عازا.

تمنّى «جمال» وقبله «راضي» نفي من الدكتور «جابر» لما يتوقعانه، ولكنه لم ينفِ وأكد لهم شكوكهما:

– البقاء لله.. شِد حيلك يا «راضي».

تركهم الدكتور «جابر» وانصرف وكلاما يذرف بالدمع بجوارها ناظرين إليها قبل أن يرنّ جرس التليفون، وكأن «راضي» لم يسمع شيئًا ثانيةً، فلم يستطع مُغادرة والدته هذه المرّة بعد وفاتها.

فتمنى وقتها أن ترجع له فقط لينفِّذ ما كانت تريد، ولكن قد فات الميعاد.

تركه «جمال» وذهب ليرد على المُتصل مُخطئ الوقت، فتوجَّه له مُحاولًا إخفاء حزنه ورفع سماعة الهاتف وبصوتٍ أقل من الطبيعي مازال يبدو عليه الحزن:

– ألو.

ليرد المُتصل مُباشرةً:

– عملت إيه في النتيجة يا واد يا «راضي».

فرد «جمال»:

– أنا مش «راضي».

فأسرع المُتصل:

– أومال هو فين وفين أُمو «راضي»؟

فأجابه «جمال»:

– أُمو «راضي» تعيش إنت.. و«راضي» جاعد چمبيها.

أغلق «جمال» الهاتف ونظر إلى مكان جلوس «سنية» المُعتاد على أريكتها في فقرة سرد الذكريات، ووجَّه نظره مُجددًا إلى الحائط المواجه للأريكة ليرى صورة قديمة لعم «حامد» مُعلَّقة عليه، الحائط الذي انتهج أيضًا شكل الحائط الزميل في غُرفة «راضي»، الحائط المُنشق، غاب

obeikandl.com

«جمال» هذه المرة داخل صورة تحمل وقارًا كبيرًا لوالد صديقه، اذا رأيته لأيقنت أن لقب «سي السيد» كان في الأصل من أجل «عم حامد» كما كان يلقبه «جمال»، ورفع السماعة مُجددًا مُخاطبًا والده في منزلهم ليخبره بما حدث، ليجد من يساعدهما فيما هما فيه وقبل أن تمر الساعة وجدوا مددًا بشريًا كبيرًا من النساء اللاتي تولنّ غُسلِها، ومن الرجال أيضًا الذين جاءوا لمُساندة «راضي» في محنته ونصب سُرادق العزاء أمام منزله مُباشرةً قاطعين المسافة الضئيلة بين حائط المنزل والفدانين المملوكين لهم القابعين داخل مئات الأفدنة الأخرى، إلى أن وصل إليهم المُتصل، «حسن».

وقف «راضي» بجوار خاله «حسن» مُصطحبين معهما «جمال» ووالده على مدخل الصوان مُتقبلين العزاء من أهل «كفر الكوادي» الذين علموا بمُفارقتها القرية لتعود إلى بارئها.

وبمرور الوقت بدأ أهل «كفر الكوادي» مُغادرة المكان، فتوجهوا إلى الخارج مُرددين بعض الكلمات البسيطة لمواساة أهل الفقيد، وبعد أن غادر الجميع انضم لهما والد «جمال»، وبقى في الصوان «راضي» و«جمال» و«حسن»، ودار بينهم حوارٌ طويلٌ، كان أغلبه يدور حول المواساة مُختلطًا بأسئلة على ما يعتزم «راضي» فعله في الفترة المُقبلة، واستمر الحديث.

* * *

غاب كثيرًا عن وعيه، مُخيَّرًا، تذكّر أكثر في غيابه، بإرادته، تألم أكثر في إفاقته، مُجبرًا، أفاق «راضي» على خبطٍ خفيفٍ من أحد الُمصلين المجاورين بالمسجد، فانتشله من غيابه، فسمع صوت المؤذن يقيم الصلاة.

فلم يتعجَّب لغفلته، فبعض الألم أحيانًا قد يجعلك تغفل دهرًا.

نهض بصعوبةٍ شديدة وبمجهودٍ أوشك على الانتهاء لأداء الصلاة، ليشكر، ويطلب، ويدعُ، ويقترب، فينهي، فيعود إلى رتابة الحياة مرة أخرى، ليقضي أوقاته تائهًا، شاردًا، عائدًا لغفلته ثانيةً، وربما أبدًا.

ولكن مُجبرًا.

* * *

الرابعة مساءً.

تهندّم «إسلام» جيدًا مُتخذًا وقتًا أطول من المُعتاد في الوقوف أمام مرآته قبل أن يخرج من شقته، ونزل بعض درجات السلالم في هدوءٍ وتأنٍّ يحمل معه بعض ما تبقّى من آثار الحزن على هيئته، فتصَادف نُزوله مع خُروج «دلال» من شقتها، وهي والدة «يحيى»، أحد أصدقائه سابقًا، أيضًا، قبل أن يلحق به «أحمد» من يومين.

رُبما أصبح أمرًا عاديًا أن يُقتل الشباب في هذا العُمر.

فألقت عليه السلام، فبادلها، فسحبت باب شقتها في يدها وقبل أن تُغلق سألها عن مَقصَدِها، فأجابته برغبتها شراء بعض الاحتياجات المنزلية، فرفض خروجها وطلب منها أن تبقى وسيقوم هو بإحضار اللازم، ففعل وعاد لها مرةٍ أخرى، وقبل أن ينصرف عنها طلبت منه أن ابقى قليلًا، لتسأل بخفوت:

– هو إيه اللي حصل مع «أحمد» الله يرحمه؟

فأجاب «إسلام» في تسرُّع بمحاولة الإفلات من أسئلتها:

– مش عارفين والله.. لسة التحقيقات شغالة.. وربنا يسهِّل.

فاستطردت «دلال»:

– أنا هسيبك دلوقتي عشان تشوف مشوارك.. بس لينا قاعدة تانية عشان أفهم منك كل حاجة.

فابتسم بحُزن مُجيبًا لطلبها، وانصرف عنها.

وأكمل نزوله في نفس البطء التام، إلى أن خرج من منزله وهبط بنظارته الشمسية من على رأسه إلى عينيه وأخرج هاتفه ليُجري مُكالمة وما إن انتهى

منها حتى تحفَّز في سيره، قاصدًا مجلس صديقه «زياد»، أو بالأحرى مجلس صديق صديقه «أحمد» الذي لا يحتمله «إسلام» دائمًا، فتوجَّه إليه بمكانه المُعتاد بأحد مقاهي وسط البلد، توجَّه دون أن يبلغه بحضوره، فوصل إليه وتعجب «زياد» لحضوره أمامه ولم يتعجب «إسلام» من وجوده دائمًا بنفس المكان، على المِقعد البلاستيكي الأخضر، أمام التلفاز الضخم صاحب الأربعين بوصة، الذي لا يُفتح إلى على قنوات الأغاني والرقص الشرقي في حالة عدم وجود مُباريات تُذاع، فسلَّم عليه وبدأ الحديث معه في بعض الأمور العادية بلطفٍ مُصطنع، ثم بدأ الاستفسار منه بطريقة توجيه اتهام صريح له:

– موصلكش خبر إن «أحمد» مات؟

فردَّ «زياد»:

– يا خسارة.. غبي.. معرفش إزاي جاتله جرأة إنه ياخد القرار!

فتماسك «إسلام» وسأل ثانيةً:

– مش كان واجب برضه تيجي تعزّي والده؟

obeikandl.com

فسكت «زياد» ونظر له ببرودٍ تام ولا مبالاة شديدة ولم يردّ عليه، فأكمل «إسلام» حديثه:

– شايفني بقول حاجة غلط!

فأزاح «زياد» ليّ نرجيلته من فمه، واعتدل في جلسته وابتعد بظهره قليلًا عن مقعده مُقتربًا من آذنيْ «إسلام» بعض الشيء قائلًا بنبرة هادئة تميل إلى السخرية:

– آه غلط.. وأنا شرير ووحش.. وفُكك مني.. وشوف رايح فين بقى.. أنا حاسس إن أحمد لو كان جالك وحلفلك إنه مُلحد مكنتش هتصدق.

فتحمّل «إسلام» قبل أن يضيف:

– «أحمد» كان مؤمن بالله وإنت اللي كنت لاعب له في دماغه غلط.

فضحك «زياد» ورد:

– هو انا لا مؤاخذة ضربته على إيده عشان يلحد.. أنا قولتله على شوية حاجات أنا مؤمن بيها وهو اقتنع وشاف إني صح.

فردَّ «إسلام»:

– صح إنك توصلّه للنار بدماغك؟

فرد «زياد» بهدوء:

– يا حبيبي مفيش حاجة اسمها جنة ونار أصلًا.. لو فيه حاجة اسمها جنة يا «إسلام» هكون أنا قاطع تذكرتين أول صف قُدام.. فيه دين في الدنيا مظهر بس.. فيه دين واحد يدعيني لحاجة وهو بيعمل عكسها.. فيه دين واحد عايز يحببني فيه ينفرني منه.. قُصرُه.. إنتوا مش بتقولوا «من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر».. زعلان ليه أما هو إستخدم عقله.. هو مش الإله بتاعك اللي إنت بتعتقد إنه خلقنا هو اللي إدانا العقل وقال لنا نستخدمه...

فقاطعه «إسلام»:

– لأ ثواني.. أنا مش بعتقد إن ربنا اللي إدانا عقل وخلقنا.. أنا مؤمن بكده.. إنت لسه في مرحلة الإعتقاد دي حاجة تانية.

فضحك «زياد» ساخرًا قبل أن يكمل «إسلام»:

– في مقولة بتقولك «ابدأ من حيث انتهى الآخرون».. الناس من ألفين سنة كانوا بيدوروا وبيفكروا مين اللي خلق الكون.. وانت باسم الله ما شاء

الله شكلك بتحب النوستالچيا لدرجة انك بتفكر في نفس اللي هما فكروا فيه من ألفين سنة ووصلوله بالفعل.. بس فيه فرق إنك عدّيت مرحلة النوستالچيا بكتير ووصلت لحاجة أكبر.. التخلف!

فرد «زياد» ساخرًا:

– ياااه.. إنت لسه عايش في الحتة بتاعة مين اللي خلق الكون دي.. يا راجل في ردود نزلت أحدث من كده.. وإنت ماشي ابقى اشتري كتاب كيف تحاور مُلحدًا في عشر خطوات بدون معلم.. هيعجبك أوي والله!

فرد «إسلام» سخريته مُنهيًا:

– والله! ده إنت مُلحد لايت خالص.. عن إذنك بقى عشان ألحق أشتري الكتاب وأروّح.

فنهض «إسلام» من مجلسه وأرجح رأسه يمينًا ويسارًا مُتعجبًا بابتسامة وتركه ورحل، فالتقط «زياد» لَيّ نرجيلته مرةٍ أخرى إلى فمه ورجع بظهره إلى مقعده وتولى أمرها بعنفٍ حتى سمع طقطقة استغاثتها.

* * *

البعض منا يمتلك خاصية الجلوس بمفرده مُخيَّرًا في أوقاته مُعظمها، ويستمتع بها، والبعض الآخر يمتلك نفس الخاصية ولكن مُجبرًا، ولكن لن تفيد تلك الخاصية بشيء إذا لم يكن لديك ذاكرة قوية تستحضر أدق التفاصيل.

غيّرت «دلال» ملابسها بعد أن أنهت حديثها مع «إسلام» واستلقت على سريرها تختبر قوة ذاكرتها كما تفعل في الكشف الدوري التي تقوم به يوميًا.

* * *

الأربعاء.

٢١ مارس ١٩٩٠.

السادسة صباحًا.

دخل «عبدالقوي حسين» بجسدٍ ممشوق وشارب حاد وشعر أسود ووجهٌ قمحي مُستدير يرتسم بالبسمة إلى غرفة زوجته «دلال» بالمستشفى للاطمئنان عليها بعدما أذنت له المُمرضة وأعطته بعض التعليمات اللازمة لاستكمال راحتها وصحتها، فوجدها مُلقاة على ظهرها على سرير أبيض فتحرك نحوها ببطءٍ وهدوءٍ يشاهد وجهها الشاحب المُتغير، لمس أناملها بحنوٍ وسار بيده حتى أمسك بيدها كاملةً، كانت تلك اللمسات كفيلة

لإفاقتها مُبتسمة تنظر للدنيا من منظورٍ جديد مختلف وأكثر جمالًا، أمسك بيديها وساعدها بصعوبة بالغة في مخالفة لتعليمات المُمرضة كي يجعلها تستند بظهرها إلى السرير، واتجهت بأناملها إلى المولود الصغير الذي استقر بسريرٍ أبيض خشبي مُتحرك مجاور لها، حرَّكت أطراف أناملها على رأسه في ابتسامة، اتجهت بأناملها إلى باطن كف مولودها فتشبث بها بقوة، فدقَّ قلبها دقًا لم تعرفه من قبل، وتنهدت كمن لم تتنهد من قبل، وتلألئت الدموع وكادت تنجرف من عينيها كمن لم يبكِ من قبل، فغابت بنظرها لدقائق طويلة تتأمل كل تفاصيله، تغيب مئات الثواني لتتعرف على عينيه وتشاهد جمالها وبساطتها، إلى الأذن ونعومتها وحُمرتها، إلى الأنف وحجمها الذي قد لا يُذكَر، إلى الفم الذي سيبتسم دومًا، إلى الكف إصبعًا تلو الآخر، عُقلة تلو أخرى، إلى أقدامٍ صغيرة تتأملها في حُبٍّ فينكمش وجهها حُبًّا، وتزيد دموعها تلقائيًّا، فينكمش وجهها أكثر، فتبدأ في البكاء ونزف دموع الفرح، فتوجه إليها زوجها وتوسط بجلسته بينهما وربت على ظهرها وضمَّ رأسها إلى صدره، وبيده الثانية قام بخيانتها ومدَّ يده إلى صغيره يتشبث بيده الهزيلة، فيتشبث بيده الأضعف، فتدمعُ عيناه.

* * *

التهم الرائد «حاتم عابد» دواسة الوقود في سيارته السوداء ليسير بسرعة عالية جدًا مارًّا في شوارع المُقطَّم حتى وصل إلى ميدان النافورة

فبادل بقدمه التهام دواسة الفرامل بدلًا من دواسة الوقود حتى توقَّف العجل تمامًا عن الدوران، فاحتضن بالأرض وخرج من جوانبه بعض الأتربة ورائحة بسيطة ناتجة من عجلات سيارته أمام أحد الكافيهات، فنزل من سيارته ببذله ينقصها رابطة العُنق كعادته وأغلق باب سيارته في تعالٍ فدلف إلى الكافيه ولم يبحث عن أي منضدة فارغة بل اتجه مباشرةً إلى مكان تجمُّع العاملين في آخره وبصوتٍ هادئ واثق جمع أنظار العاملين إليه وبدأ:

– كان فيه هنا حفل عيد ميلاد يوم ٣١ ديسمبر بليل.. مين كان موجود هنا منكوا وقتها؟

فأجابه البعض بتواجدهم والبعض الآخر بالعدم، فتوجه لمن أجابوا بالتواجد ببعض الأسئلة البسيطة عن أجواء اليوم وكيف سار، وأخبرهم بعثورهم على جُثة شخص ما في نفس اليوم وأن المجني عليه كان في المطعم قبل العثور عليه، وطلب منهم أن يذهبوا لنيابة المقطم والإدلاء بشهادتهم فيما شاهدوه في نفس اليوم، فما كان أمامهم سوى الإيماء برؤوسهم تأكيدًا لتواجدهم المُرتقَب، واستمر الحوار لدقائق قليلة قبل أن ينصرف عنهم الرائد «حاتم عابد» إلى خارج المطعم مرة أخرى وأغلق الباب خلفه ووقف يتأمل المارة يمينًا ويسارًا، ويغلق جفنيه ليتذكر شيئًا ما، أو ربما ليتألم من شيءٍ آخر، أو يتساءل، هل أتى بسيارته أم استقل سيارة أجرة، خرج ولم يجد سيارته في الخارج تنتظره كما اعتاد، تذكر أنه قد أتى

بها بالفعل، فأخرج هاتفه وطلب رقمًا مُسجَّلًا على هاتفه وعندما فُتح الخط لم ينتظر أن يأتيه ردًا فبدأ في حدة شديدة:

– فيه عربية «هيونداي» سودا اتاخدت من ميدان النافورة من خمس دقايق بالظبط.. تبعك مش تبعك العربية تكون عندي بعد عشر دقايق في قسم المقطَّم يا إما وحياة أمي لا تشيل كل بلاغات سرقة العربيات بتاعة المقطَّم في السنتين اللي فاتوا.

قالها الرائد «حاتم» وقبل أن يأتيه الرد أنهى المكالمة وأشار لسيارة أجرة – «تاكسي» – مارة، فتوقفت، فركب، ورحل.

* * *

وصل «إسلام» إلى شارع جامعة الدول العربية وتسكع حتى كاد يبلغ منتصفه فدلف إلى أحد الكافيهات المُتراصة على يمين الطريق، مسح المكان بنظره سريعًا قبل أن تُشير له فتاة تنتظره على إحدى منضدات اليسار، فتوجه لها بملامح وجه خشبية لا تحمل أي علامات يُستدل عن طريقها لشيء، فتآكلت الابتسامة البسيطة من وجه «ريهام» ببطءٍ، وجهٌ أبيض ينطق بالنضرة والاحمرار وشفتان ورديتان مُكتنزتان شيئًا ما، شعرٌ أسود مُتفحِّم تلمع فيه الأضواء، بدأت مع «إسلام» بصوتٍ هادئ:

– مالك؟

ربما كان السؤال خاطئًا بعض الشيء؛ فبعض الأسئلة لا يمكن إجابتها، ولكن يمكن استكشافها عن طريق النظر.

دفن «إسلام» رأسه بين بواطن كفيه وأخرجها بعد ثوانٍ ونظر إليها ليجيب بهدوءٍ:

– مفيش حاجة.. هو موضوع «أحمد» بس.

فسألت:

– الله يرحمه.. لسة مفيش جديد؟

فأومأ برأسه نافيًا في سرعة قبل أن يقوم بتغيير وجهه فجأة ويستطرد:

– وحشتيني.

فاختفت كل آثار الشحوب من وجهها تمامًا وارتسمت الابتسامة على وجهها من جديد بعد أن غابت عنها لثوانٍ معدودة، فنظرت له في خجلٍ تقول بأعينها قبل أن تنطق:

– وإنت كمان.

فظلا يتبادلان النظرات لثوانٍ، والابتسامات لثوانٍ أخرى، يقترب ميعاد خِطبتهما ببطءٍ شديدٍ، كلاهما يتمنى أن يأتي الموعد سريعًا، لا ليس سريعًا،

obeikandl.com

بل الآن، انتهت لحظات قليلة كان الصمت هو السائد بينهما قبل أن يبدأ معها جادًا بنبرة عادية تلعثم فيها بعض الشيء:

– أنا كلمت باباكي وقلتله هنأخَّر الخطوبة شوية لحد ما الفترة دي.. يعني.. تعدي بس وبعدين نحدد يوم إن شاء الله.. مش بإيدي والله أنا كان نفسي...

فقاطعته «ريهام» بلمسة من يديها الناعمتين أبدت فيهما تفهمها لأحواله مُجملًا ولخَّصَت كلامًا كثيرًا يُجهِّزه «إسلام» طول طريقه ليتناقش فيه معها، ولم تُبدِ سوى ابتسامةً أكثر جمالًا.

قد لا نحتاج كلامًا كثيرًا لوصف ما نريد قوله بقدر حاجتنا إلى من يفهم الحديث قليله.

فسكتا هنيهةً إلى أن قررت «ريهام» التمنّي ومنه التنفيذ حين سحبت كلتا يديها من بين يديه ببطء قائلة:

– مُمكن ترجع الشغل ومتغيبش عنه كتير؟

فأومأ بالرفض وذمَّ شفتيه حتى جحظت عيناها وانتظرت المفاجأة التي لم تأتِ منه، فأومأ مُجددًا بالإيجاب مُبتسمًا.

* * *

قبيل الغروب بدقائق جلس «راضي» في شُرفة منزله على مقعدٍ بلاستيكي أبيض، يحدِّق نحو اللاشيء، يدق جرس هاتفه فيجيب، ويتقبّل المواساة ويغلق، فيشرد، فيدق الجرس مرةً أخرى، وبين كل جرس وآخر حياة ثانية، الثانية الواحدة قد تُصبح دهرًا، ولكنه لم ينسَ موعده، لم ينسَ شروده، لم يُكمِل تذوق المرارة في يومه السابق، فعزم على التهامها الآن، مُجبرًا مُخيَّرًا..

مُخيَّرًا مُجبرًا.

وقبل أن ينغمس في ذكرياته مُجددًا أتاه صوتٌ هادئٌ:

– قاعد لوحدك كده ليه يا حج!

جُملة بسيطة قيلت وسمِعها «راضي» لم تؤثر على شروده، بل زادت منه وأدخلته في غياهب أخرى، يُفكّر في كلمة «حج» التي لم يسمعها من أحدٍ غير «أحمد» ابنه، كان دائمًا ما يقولها له ساخرًا، بالرغم من أنه يعلم أن والده لم يذهب للحج من قبل، ولكنه لقبٌ مجازيٌّ، قبل أن يجيب «راضي» على السؤال فكَّر في إجابة صحيحة لا مكان لخطأ بها، قبل أن يجيب أفاق من شروده وتّذكّر، رفضَ أن يستدير بعنقه حتى لا يُصدَم!

رجع عن قراره ونظر خلفه فوجد «إسلام» هو المُنتظَر، فأجلسه جواره وفقط، لم يتكلم، لم يسأل، لم يُرحِّب، لم يُضيِّف، وكأنه تفرّغ من حياته بأكملها وسخّرها للشرود، للشرود وفقط، فانتزعه «إسلام» مُناديًا:

– ياحج!

فالتفت «راضي» مُشمئزًا من النداء:

– أنا مش حج يا «إسلام».

ففهم «إسلام» أنه ليس من حقوقه استخدام هذا اللقب، فهو احتكار لصديقه، فاستطرد:

– وإنت عامل إيه ياعم «راضي».

فأجاب «راضي» بهدوءٍ:

– الحمدلله.. شكلك جاي تقول حاجة مهمة.. مش كده!

فنفى «إسلام»:

– لأ أنا جاي أدردش معاك شوية.

– ...!

ففهم «إسلام» سكوت «راضي» ولكنه أصرَّ:

– هتروحوا «كفر الكوادي» المرة الجاية إمتى؟

فأجاب «راضي» بتحفُّزٍ واضحٍ:

– لأ مش رايحين.

فتعجب «إسلام» واستفسر:

– ليه بس؟ مش انتوا متعودين تسافروا في أجازة نُص السنة مرة وفي الأجازة الكبيرة مرة.. مش هتسافروا الأجازة دي ليه؟

فزَفَر «راضي» مُجيبًا:

– أنا لو عليّا مش عايز أروح هناك تاني.. وولا «سلمي» ولا أمها بيحبوا يروحوا.. «أحمد» – الله يرحمه – هو اللي كان بيجبرنا كل مرة نروح نقعد في البيت هناك يومين تلاتة كل أما نبقى فاضيين.. هنروح نعمل إيه دلوقتي؟

ترقرقت الدموع في عينيه وقبل أن تنجرف أضاف:

– وإبقى إعرف من أبوك آخر مرة كنت عايش فيها هناك إيه اللي حصل.. المكان ده بالنسبة لي بقى دايمًا مُرتبط بإني هودَّع حد عزيز عليّا..

سواء اللي كانوا عايشين فيه.. أو اللي كانوا بيخلوني أزوره.. معتقدش إنى هقدر أروح هناك تاني.

شعَرَ «إسلام» بضرورة التخفيف عنه والاستطراد في مواضيعٍ أخرى فعرض عليه:

– ما تيجي ننزل نتمشى شوية طيب.

فسكت «راضي» للحظات ثم نظر إلى «إسلام»، فشعَرَ بأنه سيميل إلى الموافقة إذا ألحّ، فأمسكه من مِرفقه مُشجعًا:

– يالا قوم.

فاستجاب له.

وقام.

* * *

obeikandl.com

الأحد.

٥ يناير ٢٠١٤.

التاسعة صباحًا.

دخل «تميم» إلى غُرفة مكتبه بخطوة سريعة وتوجّه إلى مِقعده، وخلع سُترة بذلته وعلّقها خلف مِقعده، ونظر إلى المكتب التي وُضِعَت عليه كثيرٌ من الأوراق، فجلس ورنَّ جرس مكتبه، فحضر الحاجب إليه، فطلب منه بعض القهوة، فانسحب بهدوءٍ وأغلق الباب، فأشعل «تميم» سيجارته، وبدأ في النظر إلى بعض الأوراق التي أمامه، وجدَ ما تُرِك من قبل وأضيف عليه بعض الأوراق الجديدة، الأوراق أغلبها عن قضية «أحمد راضي»، وكان ضمن تلك الأوراق تقرير الطب الشرعي عن جُثَّة «أحمد راضي»، فنحّاه جانبًا حتى يتفرّغ له، وأكمل فرز الورق، فحضر الحاجب مرة أخرى ودخل مُحضرًا ما طُلِب، وتراجع مُجددًا، فارتشف «تميم» بعض القطرات من القهوة ونفث دخان سيجارته، وشمَّر عن ساعديه قليلًا ووضع التقرير أمامه، وتكوّع مُسندًا وَجنتيه على قبضتيْ يديه وبدأ في قراءة التقرير المُقابل له..

وزارة العدل

مصلحة الطب الشرعي

دار التشريح

تقرير طبي شرعي

أثبت أنا الدكتور/ علاء أحمد السعيد. الطبيب الشرعي المعاون بدار التشريح أنني قمت اليوم الأربعاء الموافق ٢٠١٤/١/١ الساعة الحادية عشر صباحًا بناءً على قرار نيابة المقطم في القضية رقم ١ لسنة ٢٠١٤ بتوقيع كشف الصفة التشريحية على جثة المدعو/ أحمد راضي حامد. وذلك لبيان ما به من إصابات وعلاقتها بالوفاة وسبب الوفاة.

وعليه أثبت الآتي:

الكشف الظاهري:

- **الجُثة لذكر في حوالي العقد الثالث.**
- **الجُثة خالية من أي إصابات بطلقات نارية.**
- **كانت الجثة بملابس أفرنجية ومليئة بالدماء.**
- **بمناظرة عموم الجسم تبين أن الجُثة مليئة بالكدمات.**

الرأي

مما سبق وتقدم نقرر الآتي:

تبينا من توقيع الكشف الظاهري لجثة المتوفي/ أحمد راضي حامد. ما يلي:

(١) الجثة لذكر في حوالي العقد الثالث، لم نتبين بعموم جسد المذكور ثمة طلقات نارية.

(٢) تعزي الوفاة إلى تهشم كامل بالرأس أدي إلى تهتك بالمخ نتج عن إصابة الرأس بآلة حادة أو ارتطامها بجسم صلب، مما أدى إلى هبوط حاد بالدورة الدموية وأدى إلى الوفاة.

(٣) مضى على الوفاة لحين توقيع الكشف الظاهري حوالي يوم.

تحريرًا في ٢٠١٤/١/١

مني..

الطبيب الشرعي

دكتور/ علاء أحمد السعيد

obeikandl.com

انتهى «تميم» من سيجارته ومن قراءته لتقرير الطب الشرعي، فنحاه مرةٍ أخرى وفكّر هنيهةً ثم أخذ يسجل بعض الأشياء، إلى أن خبط الباب ودخل الحاجب يُقدِّم لـ «تميم» بطاقة باسم «سامي أحمد عبدالله»، فأذن «تميم» بدخوله فدخل الشاب وجلس وعرّف نفسه وسبب مجيئه قائلًا:

– أنا «سامي أحمد عبدالله».. بشتغل في كافيه في المقطَم.. وكنت موجود في اليوم اللي إتقتل فيه «أحمد راضي» وعدى علينا في المطعم إمبارح ظابط وبلَّغ كل العاملين في المكان اللي شاف حاجة في الموضوع ده يجي يشهد.

فأشعل «تميم» سيجارة ثانية وارتشف آخر قطرات القهوة في فنجانه وبدأ الحديث مع «سامي»:

– تمام.. بس في الأول عايز أعرف منك حاجة صغيرة.. هو مين اللي قالك إن «أحمد راضي» إتقتل؟

فبدأ «سامي» في الحديث بثقة.

* * *

دفعت «ساندي» باب الدخول للكافيه وتوجهت إلى مكان جلوسها المعتاد ووجهت نظرها إلى الخارج، وأمالت رأسها إلى اليمين قليلًا

وتراجعت بالذاكرة إلى يوم الاحتفال بعيد ميلادها، وتذكرت آخر مرة رأت فيها «أحمد»، وحاولت أن تبقي على كل تفاصيل ما حدث بينهما داخل عقلِها، لتسترجعه حينما تُريد، فتتذكر لتتألم، فاقترب منها النادل مُرحِّبًا:

– مساء الخير يا أفندم.

فلم تُعطِه الفُرصة كي يؤدي عمله فرفعت يدها شاكرة وأجابت:

– ميرسي.. لو احتجت حاجة هندهلك.

فابستم بحرجٍ وتراجع، ولكنها لم تستطع أن تعود بالذاكرة إلى ما كانت عليه، ولم تستطع أيضًا أن تبقى مكانها دون القيام من مكانها والتوجه إلى النادل للاعتذار له عن أسلوبها في التعامل معه، فاعتذرت له وأجابها مُبتسمًا برسمية أن لا عليها، فعزمت الخروج سريعًا فاستوقفها:

– آنسة «ساندي».. حضرتك نسيتي هنا لوحة يوم عيد ميلادك.. ثانية واحدة أجيبها لحضرتك.

فتركها وتوجه لإحضارها، بينما انتاب «ساندي» شعور متناقض ما بين السعادة والحزن، الشكر لله واللوم لنفسها، فكيف تنسى! فعاد النادل باللوحة كما أُهديَت لها، ففتحتها ونظرت لها نظرة ثانية طويلة عن سابقتها من أيام، فتلألأت الدموع في عينيها، فتطفّل النادل:

– موهوب جدًا اللي رسم الصورة دي.

فانتزعتها هذه الجُملة من غيابها ومسحت ابتسامتها وردت سريعًا:

– الله يرحمه!

فشعَرَ النادل بحرجٍ أكبر فأضاف بتطفُّل أكثر:

– الله يرحمه.. أنا آسف جدًا.. بس إزاي؟ هو مش اللي رسمها كان موجود هنا يوم عيد ميلاد حضرتك؟

فلخصّت «ساندي» ما تعرف في بعض الجمل البسيطة، وحكتها له، ثم رحلت.

* * *

سأل «تميم» مُجددًا:

– تمام.. ده عن مين اللي قالك إنه اتقتل.. بالنسبة لشهادتك في اللي تعرفه؟

* * *

obeikandl.com

بعد الاحتفال عاد الجميع إلى أماكن جلوسهم، عددهم أكثر من أن يجتمعوا في نقاشٍ واحدٍ وجلسة واحدة، توجه «أحمد» إلى طاولته التي سبقه إليها صديقاه، كانت أقرب الطاولات إلى الباب، بمجرد اقترابه من الجلوس أمال أحدهم على أذن الآخر يخبره بشيءٍ ما، وعندما جلس قام واحدٌ منهم تلبيةً لهاتفه، فخرج ووقف يمين واجهة الكافيه مباشرةً وظهره للكافيه، وأخذ «أحمد» وصديقه الآخر يتناقشان ويتكلمان، وكانت تظهر علامات التوتر على صديقه، وفي لحظةٍ سريعة انتفض «أحمد» واقفًا من مكانه ساحبًا ذراع صديقه بيديه نحو الباب، وفتح «أحمد» الباب وهو يضع يده اليمنى على كَتِف صديقه وهو يُقرِّب يديه من عنقه ببطء، ومع انغلاق الباب، أحاط «أحمد» ساعده بالكامل على عنق صديقه ثم اتجها إلى اليسار واختفت الرؤية، وكان صديقه الآخر لازال يتحدث في هاتفه ولم يلحظ خروجهما، وعندما أنهى صديقهما الثالث هاتفه دخل إلى الطاولة مُتعجبًا من عدم وجودهما، ومسح المكان بنظره في ثوانٍ ولم يجدهما، فانتظرهما، وعندما ملّ الانتظار التقط مُتعلقاتهم ورحل.

* * *

سأل «تميم»:

– وإيه اللي حصل خلّى «أحمد» ياخد صاحبه ويخرج ومحوّط رقبته بايده زي ما بتقول؟

فأجاب «سامي»:

– مش عارف.. أنا مُجرد شوفت الموقِف من بعيد.. هو أكيد فيه حاجة إتقالت وصَّلت «أحمد» إنه يقوم مُتحفز جدًا وكأنه بيقول لصاحبه تعالى نخرج نتخانق بره.. والدليل لكده إنهم سابوا حاجتهم ومستنوش صاحبهم التالت ومشيوا على طول.

فهزَّ «تميم» رأسه مُتفهمًا وسأل:

– كان فيه معاه أي سلاح أو حاجة؟

فردَّ «سامي»:

– لأ مش عارف.

فاستطرد «تميم»:

– فيه حاجة تاني حابب تقولها؟

فأجاب «سامي»:

obeikandl.com

– لأ يا أفندم شُكرًا.. أنا بس حبيت آجي أقول شهادتي يمكن تفيد أو تغيَّر حاجة.

فشكره «تميم» وأثنى على موقفه، ثم نهض «سامي» وتوجّه إلى الخارج بعد أن وقَّع على أقواله وألقى السلام، ففتح الباب ليجد أمامه «إسلام» منتظرًا بالخارج، فابستم «سامي» له ابتسامة خفيفة ولم ينتظر ردها ورحل، ودخل بعدها الحاجب يعرض بطاقة «إسلام» فيأذن له، فخرج الحاجب يأمر «إسلام» بالدخول إلى مكتب «تميم» حاملًا معه دفتر رسومات صديقه، فأجلسه «تميم» ورحَّب به وتناقش معه في بعض الأمور العادية بطريقة حوار وديّة، فقدّم «إسلام» دفتر الرسومات إلى «تميم» بابتسامةٍ خفيفة دون النطق، مُنتظرًا أن يرى الدهشة في عينيه، وحل اللغز، والاعتراف بالعبقرية، والإثناء على الإصرار، فتلقى «تميم» الدفتر دون أي تعبيرات ففرّ لوحاته سريعًا، ثم فتح أولى لوحاته وشرع في التأمل ومحاولة ربط ما هو مرسوم بمسار قضيته.

فكانت اللوحة الأولى تحتوي على رسمة لشخصية رجل، شكله عجوز، لحيته غير مهذبة وشعره، ملابسه عتيقة ومُتهتكة، هبط «تميم» ببصره أسفل اللوحة، فكان مكتوبٌ بالعربية المُزخرفة «أسعد القط» وحرف الألف «أ» الأول من «أسعد» مكتوب بحجم أكثر من ثلاثة أضعاف باقي الاسم وملوّن بالأحمر، وبجوار الاسم أكمله إمضاء «أحمد راضي» وتاريخ الرسم، أخذ

«إسلام» ينظر إليه ومراقبة تعبيراته وحركات شفتيه وعينيه ليحاول أن يستكشف منهم رأي «تميم» ولكنه فشل.

فقلب «تميم» اللوحة الأولى وفتح على الثانية؛ فكانت اللوحة الثانية مرسومة بنفس درجات اللون الأسود في سابقتها، وبنفس النمط والطراز الفني أيضًا؛ فكانت اللوحة الثانية مألوفة لـ «تميم» بعض الشيء لمعرفته بالشخصية المرسومة، فكانت الرسمة لشخصية الشيخ «وائل مرزوق» الداعية الديني ومُقدِّم البرامج، وتحت الرسمة أيضًا كُتِب اسم «وائل مرزوق» فقط دون ألقاب، والحرف الأول بخط أكبر كسابقه في اللوحة الأولى وملوَّن أيضًا بالأحمر، فأغلق «تميم» دفتر الرسومات وتوجَّه بسؤاله إلى «إسلام» مُتعجبًا:

– ورسومات زي دي هتفيدنا في إيه؟

فتلعثم «إسلام» ولم يعرف كيف يجيب الإجابة النموذجية التي تُقنعه بأن يأخذ في اهتماماته هذا الدفتر والبحث عما وراءه، فربما هو يؤمن بأن شيئًا ما وراءه لمعرفته الجيدة بصديقه، ولكن ما الدافع الذي قد يجعل «تميم» يبحث في تلك الرسومات.

ربما سيدفعه الفضول، فقد يختطفك من نومك أحيانًا، ويقتلك أحيانًا أخرى، ويجعلك قلقًا تتفكر دائمًا، حتى تعرف.. فستشعر وقتها بالراحة الأبدية.

فحاول «إسلام» اللعب على فضول «تميم»بطريقة فاشلة فأجاب:

– صدقني يا أفندم.. «أحمد» مبيرسمش كده وخلاص.. وأكيد الشخصيات دي وراها حاجة.

فنظر له «تميم» نظرة لا معنى لها وفتح اللوحة الثالثة من الدفتر، فكانت أيضًا رسمة لشخصية رجل يرتدي بالطو طبيب وعلى كتفيه خُطَّ ثلاث شُرط صفراء اللون، لم يستطع «تميم» تحديد ما إذا كانت الشخصية في العشرينات أم في الخمسينات من عمره، فحاول التركيز في بعض الملامح الجانبية فغاص فيها ولم يستطع التحديد، فهبط ببصره إلى أسفل اللوحة ليقرأ الاسم المكتوب بنفس نمط الاسمين السابقين، فالحرف الأول دائمًا يُكتَب أكبر من باقي الاسم، فكُتِبَ أسفل الصورة «رامي سيد» والإمضاء والتاريخ، فأخذ «تميم» نظرة على «إسلام» الذي تفرّغ لمراقبته.

ثم فتح اللوحة الرابعة، فكانت تختلف عن الثلاث لوحات التي سبقتهن، تختلف لأنها لم تكن رسمة شخصٍ ما، ولم تكن مرسومة بالألوان السوداء فقط، فكانت اللوحة ترسم نافذة وأمامها أرض زراعية ملوَّنة باللون الأخضر، ويقف في منتصفها رجلٌ فلاح يرفع فأسه إلى أعلى، فكانت الرسمة عادية وطبيعية تمامًا، تُشبِه رسومات الصغار في حصص الرسم، فقرأ «تميم» عنوان اللوحة المكتوب أسفلها كسابقاتها، فقرأ «كفر الكوادي»،

فنظر «تميم» إلى «إسلام» محاوِلًا إخفاء ابتسامة ساخرة تكاد تنطلق منه وسأل:

– دي برضه بتعتقد إن ليها سبب أو فيه حاجة وراها؟

فاستشعر «إسلام» الحرج وردَّ عن دون إرادة:

– لأ مش عارف والله بالظبط!

فهزَّ «تميم» رأسه في انتظار ما قد يأتي وفتح اللوحة الخامسة، فكانت اللوحة تحتوي على دائرة كبيرة تتلون باللون الأحمر وفقط ولم يكتب فيها اسمًا أو تاريخًا أسفلها كما سبق في لوحاته.

فتأملها «تميم» بدهشة ولم يعلق وفتح اللوحة السادسة، كانت أكثر اختلافًا وأكثر غرابةً، فكانت أشبه للوحة رسمها «أحمد» ليهديها إلى أحد معارفه ولكن لم يسعفه الحظ والعمر، فكانت صورة لضابط شرطة راكبًا على فرسٍ بُنّي قوي البنيان وخلفية الرسمة الثلاث أهرامات، رُسمت الصورة بعناية فائقة وامتزج فيها خياله بواقعه، كانت صورة الضابط بوجهه الأبيض المُمتلئ، وبكامل ملابسه الرسمية «الميري» من بِنطالٍ وقميص وغطاء الرأس «باريه»، وكان الفرس يقف شامخًا يرفع قدمًا واحدة، فتعمّق «تميم» داخل هذه الصورة، ربما بدأ يقتنع بفكر «إسلام»؛ فهي طريقة رسمتها

وخيالها الجامح تدل على أن شيئًا كبيرًا يقف وراءها، فهبط «تميم» إلى الاسم النمطي ليقرأ «چورچ بستيس»، فنظر «تميم» إلى «إسلام» وسأل:

– تعرفه؟

فرد «إسلام» بثقة:

– كمّل بقيتهم وهقول لحضرتك في الآخر كل اللي أعرفه عن الرسومات.

فعاد «تميم» بنظره إلى الدفتر وقد فتح اللوحة السابعة، فكانت تشبه سابقتها في نمط رسمها، فكانت لشاب عشريني قوي البنيان، حليق الذقن والشارب، رُسِمَ على ظهر فرس والخلفية أيضًا الثلاث أهرامات، وكان الشاب يقود فرسه بشموخ وفراسة واضحة وحماس شديد وينظر بحدة وتحفُّز إلى المنتصف، وقد مدّ الشاب فرسه بنفس حماسه، فكان الفرس يقف على قدميه الخلفيتين فقط ويرفع أرجل المُقدمة، فتأمل «تميم» اللوحة جيدًا قبل أن يعود إلى أسفلها ليقرأ «يحيى عبدالقوي»، فمط «تميم» شفتيه إلى الأمام مع رفع الحاجب الأيمن فقط وهزة رأس بسيطة، فأغلق «تميم» الدفتر ونحاه يمينًا وبدأ يتبادل الحديث مع «إسلام»:

– قول لي بقى.. إنت شايف إيه قصتهم أو إيه اللي وراهم من وجهة نظرك؟

فسكت «إسلام» هنيهةً وقال:

– أول صورة اللي مكتوب عليها «أسعد القط».. أنا مش عارفه ودي أكتر صورة مستغربها في الاسكتش.. لأن حتى بعد ما دورت على الاسم على الإنترنت موصلتش لحاجة.. تاني صورة بتاعة شخصية معروفة اللي هو الشيخ «وائل مرزوق».

فقاطعه «تميم»:

– وده علاقته إيه بـ «أحمد»؟

فأجاب «إسلام»:

– «أحمد» كان بيكرهه جدًا.

أشعل «تميم» سيجارة وطلب فنجانًا آخر من القهوة وطلب مشروبًا لـ «إسلام» وبدأ يتحدث معه بلطفٍ:

– يعني المفروض أدوّر ورا شخصية عامة هو راسمها عشان بيكرهه.. جدًا.

سكت «إسلام» مُقتنعًا بكلام «تميم» قبل أن يُطلَب منه أن يُكمل، فاستطرد «إسلام»:

– الصورة التالتة اللي بإسم «رامي سيد».. «رامي» ده عامل أمن في العمارة اللي ساكن فيها «عادل» صاحبنا.. وكنت دايمًا أشوفه بيتكلم مع «أحمد» كتير.. بس معرفش بيتكلموا في إيه.. بمُجرد ما أي حد يقرَّب منهم وهُمَّا بيتكلموا بيقفلوا على الكلام كله مرة واحدة.

فسأل «تميم» جادًا وبسخرية:

– بيتكلموا في ممنوعات يعني.

فهز «إسلام» رأسه نافيًا:

– لأ يا أفندم.. «أحمد» ملوش في أي ممنوعات.. و«رامي» كمان نفس النظام.. هو شاب كويس جدًا ومحترم.. ومتخرج الدُفعة اللي فاتت من طب القاهرة...

فقاطعه «تميم» سائلًا:

– إنت مش لسه قايل إنه بيشتغل عامل أمن في العمارة؟

فأجاب «إسلام»:

– أيوة يا أفندم.. هو متخرج من طب القاهرة.. لكن مبيشتغلش بشهادته.

فاستعجب «تميم» دون أن يكون هناك داعٍ للتعجب، ثم أمر:

– كمِّل.

فاستطرد «إسلام»:

– الصورة الرابعة دي رسمة «كفر الكوادي».. البلد اللي منها والد «أحمد».. والمكان ده مخصوص «أحمد» الوحيد في عيلته اللي كان بيحب يروحه دايمًا في كل أجازة أو في أي وقت يكون فاضي فيه.

فلم يُبدِ «تميم» اقتناعًا، وسأل:

– وبالنسبة للشخص المرسوم في الصورة؟

فأسرع «إسلام» بالرد:

– هي شخصية فلاح عادي.. لكن مش مقصود بيها حد مُعيَّن.. رسمة عادية يعني.

فسكت «تميم» لثوانٍ معدودة في انتظار تفسير آخر رسمتين في الدفتر وهما الرسمتان اللتان ينتظر «تميم» تفسيرهما لغرابتهما الشديدة، فأكمل «إسلام»:

– الصورة السادسة بإسم «چورچ بستيس».. وده أنا دوَّرت على اسمه وعرفت عنه اللي الصورة مبيناه.. إنه ضابط شرطة بس متوفي.. والصورة

obeikandl.com

السابعة «يحيى عبدالقوي».. كان جاري في العُمارة وكان معايا في كُلية تجارة برضه وصاحب «أحمد».. واتقتل يوم ٢٨ يناير.

فكَّر «تميم» كثيرًا في مدة قصيرة، ثم نفث دُخان سيجارته إلى أعلى ونظر إلى «إسلام» مليّا وقال:

– الرسومات دي كلها ملهاش أي معنى ومش هتفيد بحاجة في القضية.. رسومات عادية لناس بيحبها وبيكرهها.. إنت شاغل نفسك بحاجة مش هتفيد.. لأن فيه شخصيات كمان انت متعرفهاش وفي شخصيات عامة وانت بنفسك أكدت انهم ملهمش علاقة بيه.. وفيه رسمة لمكان هو بيحبه فطبيعي يرسمه.. حتى لو هندور ونجيب الناس دي نسألها.. هنسألهم ازاي وهما مقابلوش «أحمد» قبل كده.. يعني شاهد ماشفش حاجة.. نفترض اننا جبناهم وسمعنا أقوالهم.. في ناس في الصور متوفيين ومن فترة كبيرة كمان.. دول أكيد ملهمش علاقة بقتله تمامًا.

سكت «إسلام» لحظات يُفكر في ردٍ مُقنع وقبل أن يرد أردف «تميم» مُنهيًا الحوار بقرارٍ شِبه مُريح لـ «إسلام»:

– هنسمع شهادة «رامي».. وكذلك الشيخ «وائل مرزوق» ولو إني عارف إنه ملوش علاقة نهائي.. ونشوف «أسعد القط» ده وإذا كان عايش ولا ميت.. ومش بعيد يطلع شخصية خيالية بإسم خيالي وإنها مُجرّد

رسومات تقضية وقت.. وده كل اللي أقدر اعمله.. لكن مش هينفع أقعد أدور في علاقة ناس مش موجودة في جريمة قتل حصلت من يومين.

فأومأ «إسلام» رأسه في رضا وطلب المُغادرة، فاستوقفه «تميم» وفتح الدفتر سريعًا ونقل بعض الأسماء إلى ورقة فارغة على مكتبه ونحاها يمينًا بجوار تقرير الطب الشرعي الذي نحّاه منذ دقائق، ومدَّ «تميم» يده إلى «إسلام» حاملًا دفتر الرسومات وسأل:

– بلّغت «عادل» يجيلي؟

فرد «إسلام»:

– أنا مشوفتوش من ساعتها بس بلغته بالتليفون.. أقوله حاجة تاني أو أكلمه تاني؟

فردَّ «تميم» في ثقة:

– لأ متتعبش نفسك.. هبلغه أنا.. اتفضل.

فانصرف «إسلام» حاملًا معه دفتر رسومات صديقه، وربما مُحبطًا بعض الشيء لشعوره بعدم اهتمام «تميم» تجاه حق صديقه، فخرج وأغلق الباب خلفه، فقطع «تميم» نفس سيجارته ثم غمسها وقضى عليها.

* * *

obeikandl.com

في يومٍ روتيني مُتقلّب الأجواء في وسط الأسبوع، خرج «رامي» من بوابة نقابة الأطباء وأخرج هاتفه المحمول وطلب رقم صديقه «سامح» زميل الدراسة وانتظر قليلًا ثم بدأ في الحديث معه:

– لأ.. زي ما قولتلك يابني.. عيب عليك.. عدّي عليا النهاردة هحكيلك.. أنا شغال شيفت بليل.. سلام.

* * *

خرج راضي من باب عقاره وتوقّف أمام سيارة نقل متوسطة الحجم تحمل جهازًا من الألومنيوم لتبريد المياه، وبعض الشباب يحملونه من على السيارة ويهبطون به أمام الباب فتوجَّه أحدهم إلى «راضي» مُبستمًا ومصافحًا وبصوتٍ هادئ قال:

– دي حاجة كده عملناها أنا وصحاب «أحمد» ثواب على روحه الطاهرة.

ثم التفت إلى من يقفون حول السيارة وأشار لهم بيده في شكرٍ وبصوتٍ عالٍ:

– تُشكروا يا رجالة.. كله في الميزان.. ميزان حسناتكوا يعني.

فانطلقوا بعيدًا وعاد مرة أخرى بنظره إلى «راضي» الذي سأله سريعًا:

– مقولتليش إسمك إيه؟

فأجابه:

– «زياد».

فابتسم له «راضي» ابتسامة احتقار، ثم تركه ورحل، فضحك «زياد» بصوتٍ عالٍ ورحل هو الآخر.

*** * ***

أصوات (سرائن) عالية وسرعات سيارات الشرطة أعلى وتوقُّف أسرع أمام العقار الذي يقطنه «عادل» الذي قد نزل سلالم منزله للتو في هدوءٍ وتوقّف قليلًا أمام مدخل العقار يشاهد رجال الشرطة في سرعتهم العالية يهبطون من سياراتهم ويدخلون إلى الساحة الكبيرة في مدخل العقار وقد انجذب الناس إلى الداخل وظلَّ «عادل» يشاهد من الخارج فانتفض «عماد عباس» عامل الأمن لدي نفس الشركة التي يعمل بها «رامي» والمسئولان عن تأمين العقار بالتناوب فيما بينهما، فسرت رعشة بسيطة في جسد «عماد» وازداد رأسه شيبًا برغم اطمئنانه لعدم فعله أي شيء قد يدفع برجال الشرطة للقبض عليه، فتوجّه له الرائد «حاتم عابد» في ثقة وسأل:

– «عادل محمود» في الدور الكام؟

obeikandl.com

فسكت «عماد» للحظات يُفكر، أيخبرهم أنه مازال يقف بالخارج أم يخبرهم على مكان سكنه بالتحديد، أم...

فصاح فيه الرائد «حاتم»:

– إنت لسه هتفكر.. إخلص.

فقضت على تفكيره تمامًا فأشار «عماد» تلقائيًا بيده اليسرى إلى الخارج مكان وقوف «عادل» مُتسمرًا في مكانه، فاتجه بعض العساكر مسرعين تجاهه بينما مازال هو يقف مكانه لا يفهم ما يجري، فتوجه له الرائد «حاتم» ونظر له نظرة لا معنى لها وسأله:

– إنت «عادل محمود شوقي»؟

فجحظت عيناه ولم يرد عليه فأمر أن كبّلوه واصعدوا به إلى سيارة الشرطة، وتوجه أخرى إلى عامل الأمن وبدأ الحديث في لطف:

– إسمك إيه؟

فتلعثم قليلًا قبل أن يجيب:

– «عماد عباس» سعادتك.

فسأل الرائد ثانيةً:

– فيه حد شغال معاك هنا اسمه «رامي»؟

فسكت «عماد» ثانيةً وسكوت أطول من سابقه فكيف يجيب عليه تلك المرة في الإدلال على صديقه ليتم القبض عليه هو الآخر، فامتزج خوفه باطمئنانه مرة أخرى وأجاب بصوتٍ منخفض:

– هو مش موجود دِلوَجت.. شغال وردية بليل بِدالي.

فابستم الرائد «حاتم» ابتسامة بسيطة وأنهى قائلًا:

– أما يجيلك النهاردة قولّه يكلمني عَ الرقم ده.. واوعى تنسي.. عارف لو نسيت.. هتطبق بكرة الشيفتين.. قصدي هتطبق الورديتين مع بعض.

فهز «عماد» رأسه نافيًا في سرعة، فنظر له الرائد «حاتم» ثم اتجه إلى السيارة ورحل، وترك «عماد» في شروده وارتباكه وتفكيره وظنونه.

* * *

رفع «تميم» سمَّاعة هاتف مكتبه وبدأ في الحديث مع «أنور عبدالحميد» رئيس نيابة المِقطّم، ومُتابعته في أخبار سير قضيته، وقدّم «تميم» الحلول التي رأى أنها الأجدر إلى رئيسه وشاوره فيها واستمع لرأيه للاستفادة بخبرته، وأنهى المُكالمة وأعاد السمّاعة موضعها من جديد.

* * *

– شيل إيدك من على خدك.. أنا جنبك أنا جاي أخدك.. قصدي جاي أستلم منك.. رارا.

قالها «رامي» بلحنٍ غنائي وأسلوب ساخر لصديقه «عماد» الذي ظل جالسًا مكانه مُحدقًا في سقف المدخل، فأدار وجهه تجاهه وقال بنبرة صارمة:

– إزيك يا «رامي»؟

فرد «رامي» مُتعجبًا:

– إزيك يا رامي! يعني جاي بغنيلك والدُنيا رايقة وانت وشك مخشِّب كده.. مين اللي واكلك كفّين كده يا «عماد».

فاستعجب «عماد» أيضًا وسأل:

– دُنيا رايجة؟ غريبة يعني.. وإيه اللي خلاها حلوة مرة واحدة كدِه.. إنت بتحب يا واد ولا إيه؟

فتنهد «رامي» وأجاب مُبتسمًا:

– آه يا «عماد».. بحب.. بحب بلدي ياجدع.. ومن كُتر ما بحبها بقت علاقتي بيها زي اتنين متجوزين بالظبط.. بس في العلاقة دي أنا الست.. ومصر بقى مطلعة أيماني وزي ما تكون ما صدّقت ولقيت ست.

obeikandl.com

فضحك «عماد» ساخرًا وردَّ:

– كنّك لسه واخد بالك إياك.. وبعدين مدام متچوَّزين يُبجى ده من حجوجها عليك يا جِفل؟

فأجاب «رامي» بهدوءٍ:

– لأ أكيد مش لسه واخد بالي دلوقتي.. بس مؤخرًا مصر بقت بتطلب مني حاجات أبيحة أكتر ومش عايزة تديني فلوس قُصاد الأباحة دي.. تفتكر ده عادي يا عُمدة.. وأنا برضه مش عايز أطلب منها حاجة.. أصلها مصر برضه يا «عماد».

فنظر «رامي» إلى «عماد» الذي كان مُستمعًا فاتحًا فمه في اندهاش قبل أن يسأل:

– وإنت هتوافِج عَ الحاچات دِي؟

فتنهد«رامي» واستطرد:

– مش بمزاجنا يا عُمدة.. لازم نوافق.. المهم إنت مالك بس وقاعد مسهِّم كده ليه؟

فأسرع «عماد» قائلًا:

– يابوي كُت هتنسيني بفلفستك دي.. فيه ظابط چَه النهاردة وجَبَضُم على الأستاذ «عادل» والظابط سَجَل عليك وجال لي لما ياچي خليه يكلمني عَ الكارت دِه ضروري.. إنت عملت إيه؟

فالتقط «رامي» الكارت من يده وقال ساخرًا:

– الظاهر إن مصر زعلت من كلامي يا «عماد».

وفي تمام السادسة مساءً خرج «رامي» من الغرفة الصغيرة الموجودة بمدخل العقار وقد ارتدى ملابس العمل الرسمية بكتّافاته وتوجّه إلى المكتب الذي يجلس عليه «عماد» قائلًا:

– يالا شِد إنت.

فنهض «عماد» من مقعده وتولى «رامي» أمره الذي جلس وأخرج هاتفه المحمول والكارت الخاص بضابط الشرطة الذي أعطاه له «عماد» ونظر له قليلًا يُفكر فيم يحتاجه هذا الضابط، فأدخل أرقام الكارت تباعًا وانتظر حتى أتاه صوتٌ أجش يتحدث إليه ليرد «رامي»:

– آلو.. أنا «رامي سيد» عامل الـ.. أيوة يا أفندم.. تمام.. أكيد حضرتك.. مع السلامة.. مع ألف سلامة سعادتك.. إتفضل.

أنهى «رامي» المُكالمة مع إنهاء تغيير «عماد» ملابسه الذي خرج من الغرفة ذاتها التي سبقه منها صديقه وفي نفس الوقت دخل شخصٌ آخر من باب العقار وتوجه إليهما وألقى السلام عليهما، كان ذلك الشخص هو «سامح» صديق الدراسة لـ«رامي» الذي واعده بالحضور منذ قليل، شابٌ في نهاية عقده الثالث، يغزو الشيب رأسه، ويغزو القِصر قامته، وتحتل البشاشة والابتسامة وجهه بالكامل، فقبل أن يبدأ بأي شيء توجَّه «عماد» بالسؤال لـ «رامي»:

– ها.. كان عايزك في إيه؟

فردَّ «رامي» في ثقة:

– مفيش.. قال لي أروح بكرة نيابة المقطم لواحد كده إسمه «تميم عبدالفتاح» هياخد مني كلمتين ويمشيني ف ساعتها.

فسأل «عماد» قَلِقًا:

– المهم.. هتچيني بُكرة وردية المسا كيف ما احنا متفجين!

فابتسم «رامي» ونظر إلى «عماد» نظرةٍ طويلة قبل أن يضيف:

– تصدق بالله..

فقبل أن يُكمل «رامي» فرَّ «عماد» ضاحكًا بمشيته البطيئة إلى الخارج مُردِدًا:

– خلاص والله.. بهزر يا چدع!

فابتسم «سامح» وابتسم «رامي» ورحَّب بصديقه وأجلسه جواره وقدَّم له شايًا وبدأ معه الحوار:

– ناوي تعمل إيه؟

فسأل «سامح»:

– قولي الأول.. هُما قالولك إيه بالظبط؟

فرد «رامي»:

– كل اللي قالوهولي اللي كنت كلمتك فيه قبل كده.. هتتعين في أي مُستشفي حكومي بمُرتب ٨٠٠ جنيه.. وعلى الحوار بتاع الماچيستير أو الدكتوراه.. لازم تكون بتشتغل تبع الوزارة عشان يتكفلوا بمصاريفهم.. لو اخترت تبقى طبيب حُر يبقى مع نفسك في المصاريف بتاعتهم.

فسكت «سامح» مصدومًا قبل أن يرد:

obeikandl.com

– يعني أقعد أدرس ستة وعشرين سنة عشان آخد في سنة الإمتياز ٢٥٠ جنيه.. وأما أتخرج آخد ٨٠٠ بلطوش ولو مش عايز المُرتبات الهزيلة دي مش هيخلوني أعمل الماچيستير على حسابهم.. والله حرام.. والشهر ده شغله أد إيه وأجازاته أد إيه؟

فأجاب «رامي» ساخرًا:

– لأ أجازاته بيقضوها إضرابات وإعتصامات عشان مُرتباتهم تزيد والمستشفيات تتطور.. فيتقبض عليهم ويبقوا دكاترة سوابق أد الدنيا.

فسكت «سامح» لحظاتٍ وأردف:

– إنت بتاخد هنا كام؟

فضحك «رامي» وأجاب:

– بتشاور عقلك ولا إيه.. باخد تسعومية وخمسين بلطوش على رأيك.

فاستعجب «سامح» وسأل:

– وبيقضوك إزاي دول يابني؟

فأخبره «رامي»:

– واخد شقة قريبة أنا والخلقة اللي كانت هنا دلوقتي بـ ٥٠٠ جنيه.. كل واحد بيدفع النُص.. وبصرفلي في اليوم حوالي عشرين جنيه بس أكل.. وبحوّش الـ ١٠٠ جنيه الباقية.

فقال «سامح»:

– عجيبة!

فرد «رامي»:

– مفيش حد مستعجبش في الأول.. بس أما تتحط في نفس الموقف هتصرّف نفسك بأي طريقة.. أحسن حل ليك اللي إنت فكرت فيه وقولتهولي.. إنك تسافر بقى أي بلد تشتغل فيها بشهادتك مُعزز مُكرّم ولا البهدلة دي.. أو حتى لو مش هتشتغل بالشهادة زي حالاتي أكيد هتلاقي تقدير مادي عن كده.

فهز «سامح» رأسه نافيًا:

– لأ إنت فاهمني غلط.. مش ده العجيب.. العجيب إنك بتوفّر من المُرتب كمان.

فابتسم «رامي» قبل أن يضيف «سامح» مرة آخرى:

– شكل لسه عندك أمل تتجوز يا خلبوص.

الإثنين.

٦ يناير ٢٠١٤.

العاشرة صباحًا.

فُتِحَ باب مكتب «تميم» ودخل منه الحاجب ويتراجع مُجددًا ويأذن لـ «رامي» بالدخول بعد أن حصل على الإذن، فوقف بملابسه البسيطة المتواضعة بأدبٍ جم في مُنتصف الغُرفة قبل أن يأمر «تميم»:

– اتفضل اقعد.

فجلس «رامي» بأرجل مهزوزة في بطءٍ مُفتعل كي لا يظهر عليه التوتُّر، ولكن قطرات العرق التي بدأت في الظهور على جبينه فضحت سره، فتناقش معه «تميم» ببعض الأسئلة الودية قبل أن يلكمه بسؤالٍ تلقَّاه «رامي» بصيغة الاتهام:

– تعرف إيه عن «أحمد راضي»؟

فسكت «رامي» للحظاتٍ معدودة وأجاب مُسرعًا:

– جاري وبحتكّ بيه بحُكم شُغلي لأنه صاحب أستاذ «عادل» اللي ساكن في نفس العمارة اللي أنا بشتغل فيها.

فردَّ «تميم» مُبتسمًا:

obeikandl.com

– إهدا بس متتسربعش.. بتشتغل إيه في العمارة اللي ساكن فيها «عادل»؟

أجاب «رامي» بثقة وثبات رغم توتُّره:

– فرد أمن.

فسأل «تميم» متهكّمًا:

– مش كان إسمها حارس عقار ولا إتغيرت؟

فأجاب «رامي» بحدة:

– آه.. حضرتك تقصد تقول بوّاب العمارة؟.. لأ أنا مش بوّاب العمارة.. أنا عامل في شركة أمن وهي اللي بتوزعنا على الأماكن.. المكان ممكن يكون شركة.. مول.. عمارة.. بنك.. على حسب.

فسأل «تميم» ثانيةً:

– وبقالك أد إيه شغال في العمارة أو في الشركة يا سيدي عشان متزعلش؟

فابتسم «رامي» مُجيبًا:

– في الشركة نفسها بقالي أربع شهور.. إنما في العمارة حوالي شهر ونُص.

obeikandi.com

وقبل أن يسأل «تميم» أجاب «رامي»:

– الشهرين ونُص اللي قبلها كنت في تأمين مدينة كده في التجمُّع الخامس.

فأومأ «تميم» رأسه في رضا وتفهُّم لعقليته ولكن باغته بسؤالٍ آخر لم تتوقعه عقلية «رامي»:

– وإنت اللي طلبت تتنقل ولا هُما اللي نقلوك؟

فرد «رامي» في ثقة:

– أنا من أول ما قدمت في الشركة رفضت أروح التجمُّع وطلبت مكان قُريب من وسط البلد بس هُما قالوا لي مؤقتًا لحد ما نشوف مكان أقرب وفاضي.

فغلب الفضول طبيعة العمل لدى «تميم» ليسأل:

– إنت معاك بكالريوس طب وبشتغل عامل أمن في عمارة.. مش شايفها غريبة شوية؟

فابتسم «رامي» ساخرًا بعض الشيء وقد اكتسب بعض الثقة من الحوار وأجاب:

– معتقدش إنها حاجة غريبة يا أفندم إني أدوّر على العمل الأفضل ليا حتى ولو ماديًا فقط.. لما يتقال عليّا الدكتور «رامي» مش هيزودني ٢٠٠ جنيه آخر الشهر عن لما يتقال عليا فرد الأمن.

فتنهد «تميم» وسأل:

– إيه آخر حاجة حصلت بينك وبين «أحمد راضي» في آخر يوم شوفته فيه؟

فسكت «رامي» لثوانٍ يسترجع ما دارَ بينهما قبل أن يبدأ.

*** * ***

دخل «أحمد راضي» إلى عقار صديقه ينتظر نزوله، بدأ «أحمد»:

– إزيك يا «رامي»؟

فأجاب «رامي» بابتسامة غير مُصطنعة على غير العادة:

– الحمدلله.. وإنت عامل ايه يا «أحمد».

فردَّ:

– كله فُل.. الواد «إسلام» طلع؟!

فأجابه «رامي»:

obeikandl.com

– آه طلع من شوية ولسه منزلش.

فأخرج «أحمد» هاتفه واتصل به وأخبره أنه ينتظره أسفل العقار، وأخذ يتحدث مُجددًا إلى «رامي» الذي كان يهوى الحديث إليه دائمًا، فسأل «أحمد»:

– إيه.. لسه مروحتش النقابة والحوارات بتاعتك دي؟

فأجاب «رامي»:

– لأ لسه.. وشكلي كده مش ناوي والله.

فزاد «أحمد» من حدة صوته وبنبرة عتاب أضاف:

– يابني اسمع مني.. إهرب على برة وسيبك من (...) أم البلد دي.

فحرك «رامي» عنقه ببطءٍ يمينًا ويسارًا في نفي وأضاف:

– ياعم قولتلك تمانية وتلاتين مرة قبل كده.. أنا مش بتاع برّة.. أنا بتاع مصر.. خروجي من مصر زَي خروج السمك من المياة.. بعد شوية لازم يا ترجعّه المياة تاني.. يا تستناه يتكل على اللي خلقك.

فتعجّب «أحمد» من رد «رامي» وقبل أن يرد عليه ظهر «عادل» و«إسلام» على بُعد بضعة أمتار ينزلان السلالم فأنهى «أحمد» حديثه سريعًا حتى لا يتطرق إليهما أحدٌ منهما:

– نكمّل بعدين بقى.. سلام.

* * *

سكت «تميم» لثوانٍ في انتظار إدلاء «رامي» بأي أقوال أخرى فلم يفعل فسأله «تميم» محاولًا الاستفاضة منه:

– وهو كان بيتكلم معاك في موضوع دراسة وسفر وحاجات زي دي إزاي وانت لسه قايل لي إنك كنت بتحتك بيه في مجال شغلك بس؟

ففسر «رامي»:

– أنا أقصد إني اللي بيخليني أتواصل معاه هو مجال شغلي.. وهو اللي كان بيسألني على الحاجات دي.. هو كان إجتماعي جدًا.

فهزَّ «تميم» رأسه وأكمل:

– وإيه علاقة «أحمد» بـ «عادل»؟

فلم يعرف «رامي» كيف تكون الإجابة النموذجية تحديدًا ولكنه قال ما يعرف:

obeikandi.com

– مش عارف بالظبط يا أفندم لأني مبقاش معاهم.. وحتى أما كانوا بيتقابلوا قدامي كان بيبقى لدقايق بس وبعدين مبشوفهُمش.. بس عامةً كنت بحس إن «أحمد» – الله يرحمه – بيسخر كتير من «عادل» وطيبته.

فأنهى «تميم» أسئلته وحديثه مع «رامي» وأمره أن اترك بياناتك وارحل، فنهض «رامي» من مجلسه واتجه للباب وفتحه وخرج وقبل أن يغلقه منعه الحاجب ودخل إلى المكتب يُقدِّم بطاقتيْ والدة «أحمد راضي» وأخته، فأمر الحاجب بدخول إحداهما وانتظار الأخرى.

* * *

وضع «إسلام» دفتر رسومات صديقه تحت إبطه وأغلق باب شقته وهبط من السلالم ثلاثين أو أكثر بقليل وخبط خبطًا بسيطًا مُتناسقًا على باب شقة «دلال» والدة صديقة المتوفّى «يحيى عبدالقوي»، ففتحت له مُبتسمة وأدخلته وتركته مُنتظرًا كي تُحضر له مشروبًا باردًا، فجال «إسلام» ببصره داخل أرجاء الشقة وجُدرانها التي اكتسى أغلبها بصور صديقه «يحيى» وشريطة سوداء في الصور أغلبها، وأخرى حمراء في بعضٍ منهم كُتِبَ عليهم «الورد اللي فتح في جناين مصر»، قبل أن تبدأ هي بصوتٍ مُنخفض بعض الشيء وكأنها تُخفي ما تخشى أن يُسمع:

– يالا إحكي لي كل اللي تعرفه عن موضوع «أحمد» ده؟

فنفى «إسلام» في بادئ الأمر قبل أن يساومها في قلقٍ شديد منه خوفًا من انفجارها:

– ماشي بس بشرط.. تجاوبيني في كُل اللي أسألهولك بعدها!

ففكرت قليلًا وقلبت في أسئلته التي لم يُلقِها بعد، وقبل أن تجيب بالرفض غلبها الفضول، فوافقت.

فاشترط «إسلام» شرطًا آخر أن يبدأ هو في أسئلته، فوافقت ثانيةً، ففتح دفتر الرسومات على الصورة المرسومة لـ«يحيى» على ظهر الفرس وأدار دفتر الرسومات ناحيتها، فتلقته وأمعنت النظر فيه، تذهب يمينًا ويسارًا، أعلى وأسفل، تغوص في المُنتصف بعض الشيء، انتشلها من شرودها وسأل:

– مشوفتيش الرسمة دي قبل كده؟

فنظرت له مُتعجبة وسألت هي الآخرى:

– هشوفها إزاي! هو مش إنت اللي راسمها؟

فأجاب «إسلام»:

– لأ مش أنا.. اللي راسمها «أحمد راضي».

فنظرت إلى الدفتر ثانيةً مُرددة:

– الله يرحمه.. أول مرة أشوفها دلوقتي.. طب هو مجاش ورهالي ليه؟

– الله أعلم.. يمكن ملحقش!

فنظرت «دلال» إلى الصورة مُجددًا وقالت:

– ملحقش إزاي.. الصورة مرسومة بتاريخ ١١ فبراير ٢٠١١!

فاستطرد «إسلام»:

– مش عارف بقى.. أنا بس عايز أعرف كانت إيه علاقته بـ «يحيى» – الله يرحمه – عشان فيه شك تكون الصور اللي في الدفتر ده ليها علاقة بقضيته؟

فتعجبت من رده وأجابت:

– علاقة بقضيته إزاي.. إستحالة.. يعني صورة لـ «يحيى» اللي مات من تلات سنين هتبقى ليها علاقة بواحد إتقتل من كام يوم.. وعلاقته بـ «يحيى» زي علاقتك بيه بالظبط.. أنا معرفش اللي بينهم وأكيد مكنتش هعرف.. يمكن الحاجة الوحيدة اللي «أحمد» مُختلف فيها عنك في علاقته مع «يحيى» إنه هو أول واحد من اللي يعرفه شافه وهو مقتول.

فباغتها «إسلام»:

– وهو إتقتل إزاي؟

فأجابت بسطحية:

– في الثورة.. يعني متعرفش؟

فردّ «إسلام»:

– تمام منا عارف.. التفاصيل كلها بقى إيه؟

استغل اتفاقهما وسألها عما لا تجيب عليه أبدًا والذي لا يعرفه إلا شخصان، هي الأولي، والثاني في تعداد الأموات الذي كان يرفض بدوره الإدلاء بأي شيءٍ بناءً على رغبتها، فسكتت قليلًا، فزاد الصمت عن حده، ولكن «إسلام» قرر الانتظار، لا يريد أن يضيف أي كلمة أخرى قد تجعلها تغيِّر رأيها ولا تُدلِ بما يُرِد، فقبل أن يُنهِ التفكير بدأت في السرد:

– يوم ٢٨ يناير أول ما صحي من النوم قال لي أنا نازل أصلي الجمعة وقاعد تحت شوية.. لقيته طوِّل لحد العصر جربت أكلمه وأشوفه بس معرفتش أوصله.. عرفت إن التليفونات كانت مقطوعة.. مكنش فيه غير إني أستنى.. وأما بدأوا يعملوا اللجان الشعبية في نفس اليوم لقيت شباب كتيرة بيجروا يمين وشمال.. بصيت بينهم يمكن ألاقيه معاهم بس مشوفتوش..

obeikandl.com

لقيت «أحمد» – الله يرحمه – معاهم وسألته على «يحيى» وقال لي إنه واقف معاهم برة عَ الشارع.. اتطمنت شوية وقُلت كلها ساعة ولا اتنين بالكتير ويرجع.. وهو فعلًا بعدها بساعتين بالظبط كان رجع.. بس خبره، الناس قالوا لي إنه في مستشفى القصر العيني.. روحت على هناك في ساعتها ووصلت بالعافية عشان الشوارع كلها كانت مقفولة.. وصلت هناك لقيت «أحمد» قاعد ودماغه بين رُكَبُه والدموع نازلة بين رجليه.. زي الحنفية.. من قبل ما أسأل أو أطلب أي حاجة لقيت نفسي ببُص على «يحيى» ونص هدومه مقلوعة وهو غرقان في دمه.. كان واخد رصاصة في دماغة من ورا ورصاصة في كتفه.. جالي الدكتور وقالي البقاء لله وهتستلمي الجُثة من «مشرحة زينهم».. روحت عَ المشرحة و«أحمد راضي» جه معايا.. أما وصلنا كانوا حاطين جُثته في عربية نُص نقل مليانة تلج.. عشان المشرحة كانت مليانة عَ الآخر.. كل ده أنا مش فاهمة حاجة.. بدأت أجمّع من كلام الناس اللي حواليا إن كل دول إتقتلوا في التحرير.. خرّجت الكلام ده من ودني التانية لما لقيت واحد بيقولي إمضى على إستلام الجُثة ومكتوب في تقرير الاستلام إنه ميّت في مُشاجرة بالأسلحة النارية.. «أحمد» رفض إنى أمضي عشان هو متقتلش في خناقة زي ما بيقولوا.. قال لي إن «يحيى» كان قايل له إنه رايح التحرير ومحلفه ميقوليش فعلًا زي ما الناس كانت بتقول وإتقتل برصاص ظابط شرطة.. وإحنا واقفين بنتكلم جابوا جُثة تانية حطوها في صندوق النُص نقل اللي فيها جُثة «يحيى» فقلبوه على

وشه وهما بيوسعوا مكان للجُثة الجديدة.. عيني جت على مُخه وهو خارج من دماغه.. مدرتش بنفسي بعد المنظر ده.

فسكتت «دلال» للحظات وهي تُجفف دموعها التي أخذت تنجرف انجراف المياه لشلالات على قمة جبلٍ عالٍ، ترقرقت الدموع في عينيْ «إسلام» الذي لم ينطق بكلمة واحدة، وقد سخَّر جميع حواسه في استقبال حكاية مقتل صديقه بتفاصيلها التي لا يعرفها، بعد تلك اللحظات القليلية التي صمتت فيها «دلال» استطردت بهستيرية غريبة وكأنها تحكي قصة أخرى:

– هحكيلك حدوتة معينة كده بكرهها جدًا.. كان في زمان طفلة كان أي حد يشوفها يقول لها نفسي تكبري وأشوفِك عروسة.. أما تكبر وتبقى عروسة يقولوا لها نفسي أشيل ولادِك.. وبعد ما كبرت.. وحبَّت.. وإتجوزت.. مبقاش في حاجة بتفكر فيها غير ولادها اللي لسه مجوش.. بتفكر في ولد أو بنت تكون شايفة نفسها فيهم.. بدأت تفكر في الإبن شكله هيكون عامل إزاي.. من حبها فيه بدأت تبني له حياته من قبل ما يوصل للدنيا.. وأول ما عرفت إنها حامل بعد أكتر من إتناشر سنة جواز.. بقت شخص تاني مختلف.. بقت بتاخد بالها من نفسها مش عشان نفسها.. عشان اللي مستنياه.. وولدت إبنها وبدأت تهتم بيه.. فرحها كله كان ليه وزعلها لو حصل بيبقى عليه.. تفرح بإبنها وهو بيكبر يوم بعد يوم.. بتبقى مستنياه يزحف.. ولو زحف تبقى هتموت وتشوفه بيمشي.. وأما

يمشي تبقى مستنية اليوم اللي هيدخل فيه المدرسة.. وتستناه يخلص مدرسة عشان يخش الجامعة.. وبتستنى يخلص الجامعة عشان يتجوز وتشوف ولاده وتشيلهم.. وعيد ده كله من الأول على إبنها هي.. وتبقى عايزة تشوف ولاد ولاده كمان.. وفي جزء من الثانية.. ظابط برصاصتين يضيّع عليك حلم بتحلم بيه أربعين سنة فاتوا بالعمر الجاي كله.. يضيع عليك حلم عمرك كله.. يخليك عايش من غير أمل ولا رغبة في إنك تعيش أصلًا.

تساقطت الدموع من «إسلام» وربت على كتفها في حنوٍ مواسيًا فاستطردت مرة أخرى بصوتٍ عالٍ:

– لا يفل الحديد إلا الحديد.

فلم يفهم «إسلام» ماذا تقصد بقولها فلم يسأل واكتفى بالانتظار صامتًا، فلم تُضِف أخرى، وسكتا طويلًا إلى أن أكملت:

– وكل حكومة تمسك البلد من بعد الثورة يقولولنا استرجاع حقوق الشهدا على رأس اهتماماتنا.. ويعملوا صندوق شهداء الثورة.. تكون الحكومة ثبتت رجلها واتنسى الموضوع على كده.. اتعمل أكتر من خمس صناديق ليهم.. مفيش نفر منهم هوِّب ناحية بيت أي واحد من اللي ماتوا في الثورة.. والسخيف إنهم فاكرين إننا مستنينهم يرجعولنا حقوقنا.. ولو عملوا حاجة زي كده هيبقى ملهاش غير معنى واحد بس، مكنتش بحِس إن إبني مات لما النظام إتغير والناس كلها كانت بتنسب الفضل للشهدا اللي

قدّموا أرواحهم للبلد.. بس دلوقتي بعد ٣ سنين نفس الناس بقت بتقول إن هما السبب في خراب البلد.. وفيه ناس أكتر بتشتم كل اللي نزل وقتها باللي مات فيهم كمان.. والإعلام اللي كان كل شوية يلف علينا في البيوت عشان ياخد مننا كلمة واحدة ويكتبوا تحتها بس والدة شهيد الثورة فُلان الفُلاني.. بقى نفس الإعلام اللي بيشوِّه فيهم وبيسقف للي قتلهم.. حسبي الله ونعم الوكيل في كل حاجة غلط.

رغب «إسلام» في التخفيف عنها والاستطراد في موضوعٍ آخر ففتح لها لوحة ثانية من رسومات صديقه «أحمد راضي» والتي فيها ضابط شرطة على فرس وتحمل اسم «چورچ بستيس»، فتلقتها منه ونظرت إليه هنيهةً ثم أعادتها له في تعجُّب دون حديث، فسأل «إسلام»:

– تعرفيه؟

فأسرعت:

– طبعًا!

فسأل ثانيةً:

– مين؟

فأجابت «دلال»:

– ده كان ظابط في مصلحة السجون وخد رُصاصة مجهولة المصدر في نفس اليوم اللي إتقتل فيه «يحيى» واتنقل لمستشفى ومات في نفس المستشفى بعدها بيومين.. والحكاية دي انتشرت ساعتها في كل برامج التليفزيون.. وأعرف والدته وهي ساكنة قريب من هنا.

فطلب «إسلام»:

– مُمكن عنوانها؟

فابتسمت «دلال» ومسحت دموعها وبعينين حمراوين أجابت:

– مش قبل ما تقول لي اللي تعرفه.

فبدأ «إسلام» في سرد تفاصيل ما يعرف.

فقط ليحصل على مُرادِه.

* * *

الحادية عشر صباحًا.

نزل أمين الشرطة وسحب يده بشدة ليسحب يد «عادل» المُكبلّة في يده وتوجه به إلى غرفة الحجز الموجودة بمبنى النيابة، وبعد دقائق فُتِحَ باب مكتب «تميم» وخرجت منه والدة «سلمى راضي» التي انتظرتها في الخارج لاستكمال الإدلاء بأقوالها، فرنَّ «تميم» جرس مكتبه ليدخل الحاجب قبل أن يُغلق الباب، فتوجَّه له «تميم» بقوله عاليًا:

– هات لي «عادل محمود شوقي» من الحبسخانة.

فسمعت «سلمى» أمر «تميم» أثناء خروجها من مكتبه وتباطأت بعض الشيء في سيرها وعادت بنظرها إلى الخلف لتلحظ وقت دخول «عادل» مُكبلًا إلى مكتب «تميم»، فأدارت وجهها وانطلقت خلف والدتها في صمتٍ، فجذب أمين الشرطة يده تجاه المكتب إلى أن أجلس «عادل» بالداخل وخرج مرة أخرى امتثالًا لأمر «تميم» وأشعل سيجارة في انتظار إنهاء التحقيق معه.

* * *

ضغط الشيخ «وائل مرزوق» على زِر الطابق الثاني في مصعد مبنى القناة التي يقدم فيها برنامجه، أغلق باب المصعد واستدار بعدها ينظر إلى نفسه بالمرآة بجلبابٍ ناصع البياض وشالٍ يتخذ نفس اللون، وجهٌ أبيض وذقن طويلة شديدة السواد، فُتح باب المصعد وتولى أحد العاملين أمر حقيبته، فتوجه إلى غُرفة مُخرج برنامجه وأغلق الباب خلفه واتجه للجلوس وبدأ مُسرعًا:

– شوف لنا حاجة تتشرب بسرعة كده.

ففعل المُخرج قبل أن يبدأ حديثه مع الشيخ «وائل مرزوق»:

– شُفت قانون الضرايب الجديد بتاع إمبارح؟

فأجاب:

– سمعت عنه شوية وإن نسبة الضرايب زادت عَ الكُل.. إشمعنى؟

– معظم القنوات الخاصة ضده.. والقنوات الرسمية كلها بتأيد القانون.. وإحنا كمان هنأيد القانون.. حلقة النهاردة هتبقى عن الأكل والشرب والرزق والذي منه.. وتدخل منه على الضرايب وإنها لو متدفعتش ممكن يكون في شبهة إن أموالنا وأكلنا مش حلال والعياذ بالله.. وهنختم الحلقة بالدعاء لرجال الدولة وإن ربنا يوفقهم وينصرهم على البطلجية والإرهابيين والمخربين والعملا والخونة.

فنظر الشيخ «وائل مرزوق» إلى السبحة التي بين يديه لثوانٍ وقال بصوتٍ مضطرب:

– بس القانون.. ممم.. يعني مش عاجبني أوي برضه.. كانوا المفروض يراعوا شوية الناس الغلابة اللي مش لاقية تاكل أصلًا عشان تدفع ضرايب.

فأومأ المخرج رأسه في موافقة وفتح دُرج مكتبه وهو يرد:

– أنا قُلت لهم كده والله برضه.. قولت لهم إن ده هيبقى رأيك.. ولذلك قالولي عندك شيك فاضي أهو اكتب فيه الرقم اللي تحبه عشان

تصرفه إنت بنفسك على الغلابة اللي هيكونوا متضررين من القانون.. هتضرب عصفورين بحجر.. هتأيد القانون وتكسب النظام وفي نفس الوقت هتتبرع للناس الغلابة.. ربنا يجعله كله في ميزان حسناتك.

فوضع السبحة في جيب جلبابه وتلقى منه الشيك ورفع كلتا يديه إلى السماء مُمسكًا الشيك بأحدهما وهو يدعُ:

– ربنا يقدرنا على فعل الخير دايمًا.

فنطق هاتفه المحمول بالنغمة الدينية «إلهي أنت تعلم كيف حالي»، فالتقطه وردَّ على المُتصل في هدوءٍ:

– السلام عليكم.. أهلًا بحضرتك يا أفندم.. إن شاء الله تعالى أكون عندك في الميعاد.. في حفظ الله.. مع السلامة.

* * *

أنهى «تميم» المُكالمة الهاتفية بـ الشيخ «وائل مرزوق» ووضع هاتفه على المكتب والتفت لـ «عادل» الذي انتظره منذ دقيقة واحدة وتوجه له بالحديث:

– إيه بقى ياعم «عادل».. مش عايز تنورنا ليه.. لازم نجيبك بالطريقة دي كده؟

obeikandl.com

فردَّ «عادل»:

– يا أفندم أنا كل يوم عندي شغل ومكنتش عارف أفضِّي نفسي عشان آجي.

فابتسم «تميم» ساخرًا وأكمل:

– طيب وأديك فِضيت أهو.. ومش بمزاجك.

– ...!

سأل «تميم» بوضوح:

– بتتهرَّب ليه من إنك تيجي تشهد؟

فردَّ «عادل» في ثقة:

– وأنا هتهرب من إيه وليه؟!

فوجَّه «تميم» وصوَّب هادئًا:

– تتهرب من الشهادة في جريمة قتل صاحبك اللي إنت كنت آخر واحد معاه قبل ما يتقتل.

obeikandl.com

فزاغت عينا «عادل» قبل أن يتمالك ما تبقى من أعصاب ويرجع بذاكرته قليلًا ليوم قتل «أحمد راضي»، فتذكر «عادل» أن وقت خروجه من المطعم كان «إسلام» بالخارج على يمين المطعم يتحدث في الهاتف ولا يراهم، فردّ في ثقة كبيرة وبصوتٍ واضح:

– أتهرب من إيه يا أفندم.. مش أنا اللي كنت معاه آخر واحد.. أنا سبتهم كلهم ومشيت وعرفت الخبر ده تاني يوم.

فابتسم «تميم» وواجهه مُجددًا:

– في شهادة المدعو «سامي عبدالله» أحد العاملين في الكافيه قال إنه شافك خارج مع «أحمد راضي» وهو محوّط دراعه برقبتك وكنتوا متحفزين تجاه بعضكم.. إيه رأيك في الكلام ده؟

سكت «عادل» وزاغت عيناه مُجددًا في اتجاهات عديدة قبل أن يجيب:

– أنا فعلًا كُنت معاه ساعتها.. كُنا في عيد ميلاد واحدة زميلتنا وكنت قاعد معاه على ترابيزة لوحدنا وفاتحته في موضوع إني أتقدم لأخته وقولتله في وسط الكلام بالغلط إن هي موافقة.. فحس إن فيه علاقة بينّا مع إنها والله كانت أول مرة أتكلم معاها عشان أعرف رأيها قبل ما أروح.. عشان لو مش موافقة نقفل ع الموضوع من برة برة.. قال لي بعدها تعالى نكمل

كلامنا برة عشان الدنيا هنا دوشة.. سيبنا حاجتنا على الترابيزة باعتبار إننا هنقف برة المطعم مباشرةً نتكلم.. حط إيده على كتفي ودراعه بينزل على رقبتي واحدة واحدة وإحنا خارجين.. وكان «إسلام» واقف بيتكلم في الموبايل على جنب ومش شايفنا.. وأول ما بعدنا شوية عن المطعم حاوط إيده كلها برقبتي أكنه بيخنقني وكلمني بطريقة وحشة جدًا وقعد يسألني إنتوا إيه اللي بينكوا وحلفتله مية مرة إني مكلمتهاش غير المرة دي بس ومصدقش.. وكان بيتكلم بحدة جدًا لدرجة إني كنت حاسس إنه هيتخانق معايا.. قولت له مش هفتح الموضوع ده تاني عشان أهديه وخلاص.. وبعدين سبته ومشيت وعرفت الخبر ده تاني يوم.

فباغته «تميم»:

– ومرجعتش ليه تاخد مُتعلقاتك؟

– ...!

تهرُّبه من الإدلاء بشهادته، وكذبه في أول الأسئلة حتى ولو لم يكُن مقصودًا، وعدم إجابته لهذا السؤال، كلها أسباب جعلت الشك يزداد بداخل «تميم» فواجهه بحدة:

– انت مُتهم بقتل المدعو «أحمد راضي حامد عبدالمنعم».. ما أقوالك فيما هو منسوب إليك؟

تصبب «عادل» عرقًا غزيرًا وأجاب بسرعة واضحة:

– يا أفندم محصلش حاجة من الكلام ده خالص والله.

فباغته «تميم» مُجددًا:

– حلو.. يبقى جاوبني على الأسئلة اللي مجاوبتش عليها دي!

– ...!

فأنهى «تميم» قائلًا:

– قررنا حبس المُتهم «عادل محمود شوقي» أربعة أيام على ذمة التحقيقات.

أنهى «تميم» جُملته وضغط جرس مكتبه في سرعة، فصُعِق «عادل» عندما دخل الحاجب وأمره «تميم» قائلًا:

– نادي حرس القسم.

فأنهى أمين الشرطة سيجارته الثالثة ودخل لـ «عادل» ليعود به مرةً أخرى إلى سيارة الشرطة المُنتظِرة في الخارج التي ستعود بدورها إلى قسم المقطم من جديد، فخرجوا وخرج الحاجب وأغلق الباب خلفه وقتما تلقى «تميم»

مُكالمة هاتفية على هاتفه المحمول من الرائد «حاتم عابد» الذي كُلف من قِبل «تميم» بالتحري عن «أسعد القط»، فأخبره بما دارَ بينهما.

* * *

ظُهر الاثنين.

خرج الرائد «حاتم عابد» بسيارته الشخصية بعد أن وجدها أسفل مكتبه خلال ثماني دقائق فقط من إنهائه للمكالمة التي أجراها من أمام الكافيه بالمقطم، اتجه إلى منطقة المريوطية بالهرم بملابسه المدنية وسار بجوار ترعة المريوطية حتى وصل إلى مطلع الكوبري الدائري، يتخلل مطلع الكوبري قطعة دائرية كبيرة يصل قُطرها ما يزيد على الثمانين مترًا، الأرض يحيطها مطلع الكوبري من جميع الجهات، ويختلف الارتفاع في جميع نواحيها، يتوسط الدائرة الأرضية بحيرة حقيقية على شكل بيضاوي تمتلئ بالمياه الخضراء، طولها حوالي ثلاثون مترًا وعرضها من المنتصف أكثر من العشرة أمتار، وعمقها قد يصل إلى الثلاثة أمتار أو أكثر، يجاورها أسطوانة خرسانية ارتفاعها حوالي خمسة أمتار، ويجاورها على الضفة الأخرى من البحيرة مُكعَّب خرساني كبير بنفس الارتفاع تقريبًا، تراصت فوق قاعدة المكعب الخرساني بعض المقاعد الهالكة المُعتقة التي تآكلت قبل أن تتولى الشمس أمرها، وكخيمة مُشيّدة وقف عرقان خشبيان تمسكا بقطعة قماشية

كبيرة ينقصها بعض اللمسات البشرية البسيطة لتتهتك، استقرت أريكة مُتهالكة من نفس نوع المقاعد المجاورة بجانب الستارة القماشية، يحيط الدائرة الأرضية والأسطوانة والمكعَّب الخرسانيين والبحيرة المائية تلال من القمامة وأحيانًا جبال، تُزين تلك التلال أسراب كثيرة من طيور «أبو قردان» وأسرابٌ أخرى من الغربان، تتصاعد الرائحة الكريهة لهذا المكان إلى جميع المناطق المجاورة، لا تمر سيارة من جانبه إلا وأغلقت جميع نوافذها، ومن يمرون أكثر من مرة يغلقون النوافذ قبل الوصول بمئات الأمتار تحسُّبًا، خرج الرائد «حاتم عابد» من السيارة مُشمئزًا من الرائحة ووجهه يتخذ ملامح الكِشرة تلقائيًا، وصل إلى المدخل الوحيد لهذه القطعة الدائرية من الأرض ونظر يساره لشخصٍ بملابس طبيعية يبحث عن شيءٍ ما في بعض الأكياس عند المدخل وما إن التقط شيئًا ما من تلك الأكياس وقبل أن يخرج جرى تجاهه شاب في مُنتصف عقده الثاني يرتدي قميصًا رياضيًا لمُنتخب كرة القدم الفرنسي وأمسكه من كتفه وبلهجة شديدة:

– سيب اللي قلّبته يابن الحرامية.

فأزاح الآخر يده ورد:

– ليه الغلط طيب.. دي حتة بلاستيكة ملهاش عازا للواد إبن أختي يلعب بيها.

– إبقى استأذن بعد كده يا حلو.. مش زبالة سايبة هي!

فأومأ الشاب برأسه واستدار وأخذ القطعة البلاستيكية الصفراء وخرج إلى «التوك توك» الخاص به الذي ينتظره بخارج الأرض أمام سيارة الشرطة التي وصلت منذ دقائق، توجه الرائد «حاتم عابد» بسؤاله إلى اللاعب الفرنسي:

– إسمك إيه؟

فردَّ بثبات:

– «صالح».

فسأل الرائد مرة أخرى:

– وبتتخانق معاه ليه ياعم «صالح»؟

– الواد جاي يقلبنا ويمشي ولا إحم ولا دستور وفاكرها سايبة.. نتعب إحنا في لم الزبالة وده جاي يستنقي عَ الجاهز.. عوأ واستلواح.

فابتسم الرائد «حاتم عابد» بعض الشيء لطريقة حديث وأسلوب ما يراه لازال طفلًا والزود عن مكانه وممتلكاته حتى وإن كانت في نظر البعض لا تساوي شيئًا، أو بالأحرى عن القمامة، فسأل الرائد جادًا:

– فين «أسعد القط»؟

obeikandl.com

فرفع صالح حاجبًا وفكر لأجزاء من الثانية قبل أن يصرخ عاليًا:

– يا ريّس.. فيه حد عاوزك.

ثم التفت صالح بعنقه إلى منتصف الأرض ليرى إشارة الموافقة والإذن بدخوله فعاد ببصره مرة أخرى إلى الرائد «حاتم عابد»:

– إتفضل يا باشا.. إمشي خطوات سريعة وخفيفة.. ومتخليش رجلك تقيلة عشان متغوطش في حاجة كده ولا كده.

سار «صالح» برشاقة بين تلال القمامة وخلفه الرائد إلى أن وصلا إلى المُنتصف حيث ينتظر «أسعد القط»، رجلٌ لن تستطيع تمييز عمره من خلال النظر، بشرته سمراء تكتسب اللون الأسود من الوحل، ذقنه لم تُحلَق من حوالي عشرين عامًا، ولم تُنظف أيضًا من نفس المُدة، شعره يكتسي بنفس لون ذقنه، اللون الأسود المُكتسي بالفضي نتيجة الأتربة العالقة بهما، جسده لا يعرف أقمشةً سوى جلبابه، وعدد فتحاتها وثقوبها أكثر من عمره، أسنانه بُنيَّة اللون، إصبعي قدميه الكُبريين يرفضان الحبس داخل حذائه الأبيض المُتهالك، وضع «أسعد» كيسًا أسود كان بين يديه على الأرض وأعاد يديه خلف ظهره يُرحب بالرائد «حاتم عابد»:

– أهلًا وسهلًا يا باشا.

فمدَّ الرائد «حاتم عابد» يده، فنظر لها «أسعد» لثانيتين أراد أن يقول فيهما «راجع نفسك، فقد تندم»، فلم يتراجع الرائد، ففك «أسعد» يديه المُتشابكتين خلف ظهره وتلقى اليد الممدودة في سلامٍ هادئ ثم بدأ يُراقب تعبيرات وجهه الذي نجح الرائد «حاتم عابد» في إخفائها ببراعة، بدأ «أسعد» في الحديث:

– معلش يا باشا أنا كنت بفطر ومش عارف أقولك اتفضل.. أكلي مش هيليق بسعادتك أكيد.

فأراد الرائد مُجددًا أن يجعله يشعر بالمساواة فردَّ:

– ليه ياعم بتقول كده.. كلنا ولاد تسعة.

– على رأيك يا باشا.

قالها «أسعد» والتقط الكيس الأسود من على الأرض مرة أخرى وعلقه في إصبعي يده اليسري وأدخل فيه يُمناه وأخرجها مُجددًا تحمل الكثير من قشور حبات الترمس، فاعتصر «أسعد» قبضة يده جيدًا مع أرجحتها يمينًا ويسارًا في سرعة عالية في محاولة منه لنثر اللُعاب المتبقي في قشور الترمس بعيدًا، ثم فتح فمه عن آخره ورمى بتلك القشور داخل فمه وأخذ يمضغ في تأنٍّ، ثم ذهب ببصره إلى الرائد «حاتم عابد» الذي وقف مُتسمرًا مذهولًا لما يرى، فأضاف «أسعد» مع ابتسامة:

– مش قولت لسعادتك مش هيليق بيك.. أؤمرني يا باشا.

لم يستطع الرائد «حاتم عابد» تلك المرة إخفاء تذمُّره، فجز بشده على أسنانه، ثم أخرج صورة ووجهها ناحية «أسعد» سائلًا:

– تعرف مين ده؟

فنظر لها «أسعد» مليًا وقال:

– شكله مش غريب عليّا بس مش فاكر شوفته فين.

قبل أن يرجع الرائد بالصورة داخل جيوبه اختطفها «صالح» ونظر لها ثانية قبل أن يرد:

– الراجل ده جه هنا قبل كده.

فسأل الرائد كليهما مُجددًا:

– جه يعمل إيه؟

فأجاب «صالح»:

– مش عارف.. الريس ممكن يعرف.. ده يا ريس جه وقعد يتكلم معاك هنا قبل كده.. مش فاكره؟

obeikandi.com

فالتقط «أسعد» الصورة من يد «صالح» وتعمّق فيها قبل أن يسأل:

– هو إسمه «أحمد» باين؟

فأجاب الرائد:

– «أحمد راضي».

فرجع «أسعد» برأسه إلى الخلف في حركة مفادها أنه قد تذكره وأجاب:

– أيوة يا باشا افتكرته!

فسأل الرائد:

– تعرفه منين وإيه علاقتك بيه؟

فتوجه «أسعد» بكلامه إلى «صالح»:

– روح يا «صالح» نادي اللودر يشيل التل اللي خُلُص.

فجرى «صالح» مُسرعًا بخفة ورشاقة بين تلال القمامة، فتوجه «أسعد» بكلامه إلى الرائد:

obeikandl.com

– ده واحد مكنش عاجبه حالنا وإننا لا مؤاخذه يعني يا باشا بناكل من الزبالة وكان بيجي يديني حسنة ومكنتش باخدها منه.

فسأل الرائد مُتعجبًا:

– ليه!

فابتسم «أسعد» ونظر إلى الأرض والتقط ورقة بيضاء من عليها ومدَّ بها يده إلى الرائد قائلًا:

– اتفضل.

فالتقطها منه الرائد «حاتم» ورد بطبيعية:

– أعمل بيها إيه؟

فأجاب «أسعد» ساخرًا:

– نفس اللي أنا كنت هعمله بالفلوس لو كنت أخدتها منه.

فرد الرائد «حاتم عابد»:

– بس فيه فرق إن الفلوس ممكن تستفيد بيها.. بس الورقة دي ملهاش لازمة مقارنة بالفلوس.

obeikandi.com

– دي بقى بتختلف من بني آدم للتاني.. أنا شايف إنها ملهاش لازمة وسعادتك شايف إنها مُفيدة.. هو ده اختلاف وجهات النظر اللي بيقولوا عليه!

فهز الرائد رأسه نافيًا وأردف:

– لأ.. دي مش وجهات نظر.. دي حقيقة وأمر واقع.. لأن الفلوس دي ممكن تغير حياتك للأحسن وعلى الأقل ممكن تخرجك برة المكان اللي إنت عايش فيه لمكان أحسن.. وتخليك تاكل أكل أنضف من اللي لسه واكله.. وتعيش مع الناس برة مقلب الزبالة ده زيك زيهم بالظبط بدون إختلاف.

فابتسم «أسعد» وراوغ:

– ومين قالك إني عايز أخرج من هنا.

سكت «أسعد» لحظاتٍ معدودة قبل أن يضيف:

– في المطاعم في باريس يا باشا.. عُمال المطعم لو دخلهم زبون نضيف وشيك بيخلوه يقعد في حتة ظاهرة ومميزة لواجهة المطعم.. عشان يدي شكل إن المطعم ده بتاع ناس نضيفة ويجيب زباين أكتر.. ولو دخلهم زبون متوسط ومش أوي بيقعدوه في حتة مش ظاهرة أوي لباقي الناس.. أنا هنا في نُص المطعم ومينفعش أخرج في أي حتة ظاهرة لباقي الناس عشان

شكلي مش هيجذبهم ولا هيعجبهم.. ولو خرجت برة برضه مش هاكل وهقضيها بحلقة في الخلق.

فاستطرد الرائد «حاتم»:

– ما علينا.. فيه إيه تاني تعرفه عن «أحمد راضي»؟

– ولا أي حاجة تاني.. هو ده كل اللي كان بيني وبينه.. سؤال يا باشا لو ينفع.. هو حضرتك بتسألني عنه ليه وعرفت إني أعرفه إزاي؟

– «أحمد راضي» ده إتقتل من أسبوع وكان راسم صورة ليك وكاتب عليها إسمك من تحت.

فسكت «أسعد» هنيهةً وأكمل:

– لا حول ولا قوة إلا بالله.. الله يرحمه.

أخرج الرائد «حاتم» هاتفه المحمول وطلب رقم «تميم» وسار بعيدًا عنه بعض الشيء وأخذ يتحدث إليه ويشرح له حقيقة ما يرى، وأنهى الرائد مُكالمته وأخفى هاتفه وتوجه إلى «أسعد» بكلامه:

– لو حصل أي جديد في القضية واحتاجتك لو ملقتكش هنا هلاقيك فين.

obeikandl.com

– متقلقش.. مش هتلاقيني غير هنا.. أنا محل إقامتي ثابت ومبعزّلش.

ابتسم الرائد «حاتم» في تعجُّب وألقى بالورقة التي أعطاها له «أسعد» بعيدًا فأتاه الرد:

– مُتشكرين يا باشا على الهدية.

فالهدية بالنسبة له كُل ما يُرمى داخل أرضه من أشياءٍ لا يحتاجها غيره، هكذا هو عامل النظافة.

فلم يفهم الرائد «حاتم» ماذا يقصد واتجه إلى مكان الخروج من الأرض فوجد «صالح» يدخل الأرض بظهره ببطء ويرفع يديه في إشارات مرورية للجرار القادم معه، فتوجه إليه الرائد وخبط على ظهره بحنوٍ قائلًا:

– سلام يا بِنزيمة.

فضحك «صالح» ورد:

– سلام يا باشا.

فتقدم خطوة نحو ورجعها مُجددًا وتوجه بسؤاله إلى «صالح»:

– جبت تي شيرت فرنسا ده منين يا «صالح»؟

فاستمر «صالح» في إشاراته المرورية للجرار ووجهه متعلق بوجه سائقه وهو يجيب:

– الريس جابهولي هدية.. قالي عشان أخرج برة براحتي من غير ما يبقى شكلي غريب.. وأنا كمان بحب فرنسا أوي وعايز نبقى زيها.. عشان كده بلبسه على طول.

ثم صاح «صالح» عاليًا لسائق الجرار:

– بس.. هووووب.

فاستدار الرائد «حاتم عابد» وخطى ببطء نحو الخروج يتفكر فيما سمع ولا يفهم، فيسرع، ويرحل.

* * *

obeikandl.com

الثلاثاء.

٧ يناير ٢٠١٤.

الواحدة ظُهرًا.

خرج الشيخ «وائل مرزوق» بزِيِّه الأبيض من مكتب «تميم» مُبتسمًا بعد أن أدلى بأقواله فيما لا يعرف وقبل أن يُغلق الباب نظر إلى مكان جلوس «تميم» بالداخل وابتسم له ورفع باطن يده تجاهه أن سلام، ثم أغلق الباب ورحل.

فدخل من جديد بعدما أصبح اليوم مُتهمًا بالقتل، فدخل «عادل» ومعه حرس القسم إلى مكتب «تميم» لإكمال التحقيقات، ثم غادر الحرس من جديد لينتظر في الخارج حتى الانتهاء، جلس «عادل» جلسة مُعتدلة ورأسه تتدلى على صدره ناظرًا إلى الأرض، لا ينظر في أي اتجاهٍ سوى الأسفل، تأمله «تميم» بتعجب للحظات قبل أن يبدأ بصوتٍ مُطمئن:

– محدّش وكّل لك محامي يعني!

– ...

فأكمل «تميم»:

– طب احكي لي اللي حصل من وجهة نظرك واقنعني من غير تفكير في الأسئلة ولا كدب.. وأنا هصدقك.

لم يتحرك ساكنٌ لـ «عادل» ولم يبدأ حتى في الكلام، وانتظره «تميم» قرابة الدقيقة ظانًا أنه يفكر فيما سيقول حتى فقد الأمل في ذلك فأردف «تميم» ثانيةً:

– مش ناوي تتكلم؟

فكان وقع تلك الجُملة على نفس «عادل» أشد تأثيرًا من سابقتها، فالتفت إليه بهدوء ومازالت رأسه تتدلى على صدره وابتسم بوجنته اليُمنى فقط وقال بنبرة يائسة:

– الكلام مش هيفيد بحاجة لإني قولت كل اللي حصل بالظبط وبقيت مُتهم.. مهما أتكلم مش هعرف أثبت العكس.. يبقى السكوت أحسن.

فزفر «تميم» أدخنة سيجارته بشدة في الهواء ونظر له مُجددًا بنظرة أن تكلم، فلم يرَ سوى نفس الإبتسامة الاستفزازية التي لازالت تُرسم على وجه «عادل»، فاستطرد «تميم»:

– طب جهّز نفسك بقى عشان تبتسم نفس الإبتسامة الأسبوع الجاي في المحكمة.. إتفضل.

فصُعق «عادل» وتغيرت ملامح الابتسامة سريعًا ولكنه تفكّر قليلًا أنَّ قول «تميم» من أجل أن يدفعه إلى الحديث، ولكنه لم يكن كذلك، فقضى «تميم» على آخر آماله وضغط الجرس ليدخل منه الحاجب ويأمره بدخول حرس القسم ليصطحب «عادل» إلى القسم مُجددًا.

* * *

وقف «إسلام» أمام أحد العقارات وأخرج الورقة التي كُتِبَ فيها عنوان بحثَ عنه كثيرًا وسأل بعض المارة عن صحته فأكدوا له، فصعد إلى الطابق الثاني ووقف قليلًا يتلاقط أنفاسه ويقبض على دفتر الرسومات بشدة قبل أن يضغط جرس إحدي الشقتين المتقابلتين، فمرت ثوانٍ دون رد فأتبعها ببعض الخبطات المُتناسقة حتى أتاه صوت احتكاك الأقدام بالأرض إلى أن فُتح الباب عن طريق فتاة عشرينية مُحجبة فأدرك أنه قد أخطأ العنوان، فاعتذر لها عن إزعاجه وسألها ما إذا كانت الشقة المُقابلة هي الشقة الخاصة بوالدة «چورچ بستيس» من عدمه، فأجابت بالرفض قبل أن تُكمل:

– لأ هي دي شقتها.. أقولها مين؟

فقبل أن يطول تعجبه فكر في إجابة لسؤالها فقال:

– هي متعرفنيش.. بس أنا عايز أتكلم معاها كلمتين.

فضمت الفتاة شفتيها قبل أن تقول:

– ثانية واحدة.

فانصرفت عنه وتركت الباب مفتوحًا بعض الشيء فدخل «إسلام» بنظره إلى الشقة يتأمل بعض الصور المُعلقة على الحائط، أبرزها صورة كلاسيكية لضابط شرطة خمسيني في زِيِّه الرسمي وكتَّافاته التي رقد عليها ثلاث نجوم يحتمون بنسرٍ، ومازال جسد «إسلام» ينتظر بالخارج إلى أن فُتِحَ الباب بهدوءٍ وظهرت منه سيدة في عِقدها السادس ونظرت بحدة إلى «إسلام» وما يحمله وبصوتٍ حازم بدأت:

– لو حضرتك صحفي فللأسف مش هقدر أقول لحضرتك إتفضل.

فزادت من تعجُّبه قبل أن يُسرع «إسلام»:

– لأ أنا مش صحفي.. أنا ساكن قريِّب من هنا واللي وصفلي عنوان حضرتك واحدة تعرفيها.

فابتسمت السيدة بعض الشيء في اعتذار وتراجعت بجسدها مُعظمه خلف الباب مُرحِّبة:

– آسفة.. إتفضل.

* * *

فتح الرائد «حاتم عابد» باب مكتب العميد «عامر الشناوي» وأدى تحيته ثم جلس يتكلم معه، فبدأ العميد «عامر» بنبرة توبيخية وضحكة ساخرة:

– هنفضل كتير نبعت للنيابة لم تتوصل التحريات لشيء؟

فالتقط الرائد «حاتم عابد» أنفاسه قبل أن يجيب بهدوء:

– يا أفندم إحنا مش مقصّرين في حاجة.. بس فعلًا كل اللي بنتحرى عنه ملوش علاقة بالقضية ولا من بعيد ولا من قريب.. حتى الواد اللي اتقدمله اتهام رسمي.. وكيل النيابة نفسه مش عارف يوصل معاه لحل...

قطع كلامهما خبط الملازم أول «عمرو صبحي» ودخوله سريعًا يتلاقط أنفاسه بصعوبة لإخبارهم بما طرأ عليهم، فبدأ في الحديث مُسرعًا:

– فيه واحد من المحبوسين هرب يا أفندم من العربية اللي راجعة من النيابة.

فضحك العميد «عامر» ضحكة عالية ثم سأل جادًا:

– مين ده؟

فأجاب الملازم أول «عمرو»:

– المتهم في قضية القتل بتاعة المقطم.. اللي اسمه «عادل محمود شوقي».

فأكمل العميد «عامر» نوبة الضحك ثم توجه بكلامه إلى الرائد «حاتم عابد» في صرامة:

– القضية دي خلصت خلاص.. بلّغ وكيل النيابة إنه هرب.. والواد ده يتجاب النهاردة حي أو ميت.. لو حي يبقى بهروبه القضية لبساه.. ولو ميت يبقى أحسن.. وأهو ونوفر وجع الدماغ ده.

فأومأ الرائد «حاتم عابد» بالإيجاب وقال:

– أوامرك يا باشا.. عن إذنك.

قالها وانصرف عنه مُصطحبًا معه الملازم أول «عمرو صبحي» وبدأ في الحديث معه يستفسر عن كيفية هروبه.

*** * ***

فتحت والدة «چورچ» باب الشقة وخرج منه «إسلام» مُبتسمًا لها وقدَّم لها جزيل الشكر على استقبالها وخرج إلى الشارع يمشي فيه مُتفكرًا في كلامها المُتوقَّع وعن مقصده القادم، فثار داخله تساؤل قديم وهدأ لفترة وجيزة ثم أثارته والدة «چورچ» مرة أخرى الآن، فعزم «إسلام» على إنهاء

هذا التساؤل في الحين فتوجه إلى بيته مُسرعًا ليلقي بدفتر الرسومات ويقوم بتغيير ملابسه ثم نزل مُجددًا وتوجه إلى نزلة السمان بمنطقة الهرم، مشى «إسلام» ببطء في شوارع النزلة ينظر يمينًا ويسارًا، رائحة الخيول تتصاعد من كل الجوانب، الشارع يمتلئ عن آخره من الخيول وأصحابها الذين لا يفعلون شيئًا سوى الإقبال على المارة مع العرض عليهم «خيل يا كابتن؟»، رفض «إسلام» عروضهم وتوغل أكثر لا إراديًا داخل شوارع النزلة إلى أن وصل إلى مدخل الأهرامات الخلفي الموجود في أحد شوارع نزلة السمان، توجه إلى شاب في أواخر الثلاثينات يرتدي ملابس شبابية ويمسك في يده كرباجًا ويجلس على أريكة خشبية تتسع إلى أربعة أفراد وبجانبه ما يزيد على السبعة خيول يأكلون بنهمٍ شديد، فتوجه له «إسلام» بقوله:

– عايز أركب خيل.

فأجابه:

– تؤمرني يا باشا.. طلعة كبيرة ولا صغيرة؟

فأدرك «إسلام» جهله الشديد فلم يتردد في السؤال:

– إيه الفرق؟

فعرف الشاب بجهله وقرر استغلاله فأجاب:

– الطلعة الصغيرة لحد الجبل الصغير رايح جاي بخمسين جنيه وزيهم مُرافق.. والطلعة الكبيرة لحد الجبل العالي رايح جاي وكوباية شاي عَ التبة وهتشوف الهرم من فوق وحاجة أليسطا خالص.. ودي بمية جنيه وزيهم مُرافق برضه.

فسأل «إسلام»:

– اسم الكريم إيه؟

– «عصام».

فأكمل «إسلام»:

– بُص يا ريس «عصام».. هي الطلعة الصغيرة بس مش محتاجة مُرافق أنا مش أجنبي يعني وكلنا ولاد بلد.. هي خمسين طلعة بالمرافق.

فردَّ «عصام»:

– متجبش يا باشا والله.. يا إما تستنى أما الخيل كلها تتحجز والمُرافق يتقسم على ست إنفار.

فسكت «إسلام» قليلًا فأدرك «عصام» أنه قد فضّل الانتظار والتأجيل فأردف:

obeikandl.com

– تعالى يا برنس.. اقعد وخُد واجبك.

فجلس «إسلام» بجانبه على الأريكة الخشبية فطلب له «عصام» شايًا من المقهى المقابل لمنزله وبدأ «إسلام» في الكلام معه:

– ساكن هنا من إمتى؟

فضحك «عصام» وأجاب:

– إنت شكلك متعرفش أي حاجة عن النزلة خالص.. النزلة يا كابتن زي البلد.. بنتولد ونعيش ونموت فيها.. إنت اسمك إيه ولا منين؟

– «إسلام».. من الهرم.

فابتسم «عصام» وتهكم:

– أهو إنت كده إبتدتها عوأ.. مش لازم تقول لي من الهرم عشان أكرمك!

فتعجب «إسلام» وأكد له:

– أنا فعلًا والله من الهرم.

فأكمل «عصام»:

obeikandi.com

– غريبة.. مفيش حد من الهرم ميعرفش النزلة عاملة إزاي وانت شكلك هنا دلوقتي لامؤاخذة يعني ميتخيرش عن الخواجات.

فأجاب «إسلام» بثقة:

– أنا بس عشان أول مرة آجي نزلة السمان.. بقالي فترة عايز أجرب أركب خيل وناس كتير قالولي آجي هنا.

فاستطرد «عصام»:

– السوق نايم ومفيش زباين وشكلك هتطول كده.. تعالى نطلع الصغيرة على سبعين كله وأمري لله.

فلم يجد «إسلام» حلًا سوى الموافقة فأحضر له واحدًا من الخيل الهالكة التي قد يسبقها الإنسان في أي ماراثون ولكنه لم يخدعه وفسر له ذلك بقوله:

– الفرسة اللي معاك دي مبتجريش أوي عشان إنت لسه مُبتدئ بس عشان متقلبكش عَ الطريق.

قالها «عصام» وركب حصانه وأعطى بعض التعليمات اللازمة لـ «إسلام»، فأخبره أن يجعل ظهره قائمًا غير مُنحني، وأن يستخدم اللجام في القيادة، تحريك اللجام للانحناء سواء يمينًا أو يسارًا، جذب اللجام للخلف

obeikandl.com

باهتزاز من أجل تهدئة السرعة، وجذبه للخلف بشدة يجعل الفرس يرفع قدمي المُقدمة، ولن ينزل عليهما إلا عند إرخاء اللجام، وألا ترخي اللجام بقدرٍ زائدٍ عن اللازم حتى لا يتحرك الخيل من تلقاء نفسه، وأن يعطي الفرس بعض الحركات مثل اللمسات البسيطة بكعب الحذاء التي تُشعره بوجود قائد يركب عليه وليس طفلًا يلهو به، وحذره أيضًا قبل الانطلاق بما جعله يُصاب بالقلق بعض الشيء:

– أول كيلو هنمشي فيه كله أسفلت لحد ما نخش عَ الرملة.. الوقعة بفورة.. خد بالك.

فأصيب «إسلام» بالقلق وسأل:

– آخد بالي إزاي؟

فمزح معه «عصام» بإجابته:

– إبقى شِد حزام الأمان قبل ما تطلع وشغل الإيرباج قبل ما تُقع.. جرا إيه يا دكترة.. منا لسه قايلك حبة حاجات تعملها.. متقلقش من حاجة.. المهم متتفلسفش ولو فيه حاجة قولي وأنا جنبك على طول.

فانطلقوا وقاد «عصام» كلا الفرسين بكلامه معهما وضربات كورباجه المتناسقة مع الهواء وبعض كلماته الإنجليزية التي يعرفها الخيل جيدًا

وينفذها حينما تُقال، السير ببطء ومجاورتهم لبعضهم البعض جعل «إسلام» يطمع في معرفة المزيد عن هذا العالم فسأل:

– ولو شديت اللجام جامد ومسبتوش الخيل هيقلب؟

فأجاب «عصام»:

– طول ما إنت على ضهر الحصان هيسمع كلامك.. بس مش هيضر نفسه.. يعني هتشد في اللجام هيرفع رجليه اللي قدام.. هتفضل شادد هيفهم إنك عايز تقلب.. وهو مش عايز يقلب.. فهيقلبك إنت ويريح دماغه.

قالها «عصام» وابتسم ابتسامةٍ عريضة ظهرت فيها أسنانه الصفراء قبل أن يسأل «إسلام» مُجددًا بسخرية:

– طبعًا التماثيل اللي بنشوفها في الشوارع دي للزعماء والحصان بيبقى رافع الإتنين اللي قدام بيخاف يقلب أحسن يكون آخر يوم في عمره!

فضحك «عصام» عاليًا وأكمل:

– لأ ماهو بيبقى عارف كده كده إن صاحبها اتقتل فممكن يقلبه عادي.

فتعجب «إسلام» ثم سأل:

– هو أي حد اتعمله تمثال على حصان يبقى إتقتل؟

سكت «عصام» لثوانٍ قبل أن يردف مُبتسمًا:

– كده هيبقى في عشين جنيه زيادة للمعلومات دي.. الحصان في التمثال لو واقف على الرجلين اللي ورا بس ورافع الاتنين اللي قُدام.. يبقى اللي على الحصان ده مات مقتول في معركة.

خلال ثانيتين توقف فيهما «عصام» عن الشرح تذكر «إسلام» دفتر رسومات صديقه «أحمد راضي» وبالأخص الرسمة السابعة وهي الرسمة الخاصة بـ «يحيى عبدالقوي» التي رُسمت وهو يقف على ظهر فرس والفرس يرفع قدمي المُقدمة، فتذكر سرد والدته لأحداث وفاته وقتله في أحداث الثورة، فأردف «عصام»:

– إنما لو الحصان واقف على تلات رجول ورافع رجل واحدة من الاتنين اللي قُدام يبقى مات متأثر بجراحه.

وفي تلك الثانيتين طرأ على عقل «إسلام» الصورة الخاصة بـ «چورچ بستيس» التي رُسمت وهو يقف على ظهر فرس يرفع قدمًا واحدة فقط، فتذكر أيضًا أن «چورچ» قد ضُرب بالرصاص ومات بعد نقله للمستشفي بيومين، فأكمل «عصام»:

– إنما بقى لو الحصان واقف على رجليه الأربعة عادي يبقى وفاة طبيعية.. بس هما حبّوا يزاولونا بالتمثال.

انتهى «عصام» من حديثه وشرد «إسلام» في تذكُّر بعض الرسومات ومرَّ عليهم بعقله أكثر من مرة ليتأكد من عدم وجود صورة ثالثة في دفتر الرسومات تُرسم فيها الخيل يقف على أربع، فقطع تفكيره صوت «عصام» قائلًا:

– إمسك نفسك عشان الأسفلت بيخلص وداخلين ع الرمل.. والخيل بيحب الرمل وبيجري فيه.

فتشبث «إسلام» بلجام فرسته وزادت السرعة وزاد معها شروده إلى أن وصلوا إلى قمة الجبل الأول أو الصغير كما يلقبونه، فاستدار «عصام» بخيله في طريقه للرجوع في اللحظة التي شعر فيها «إسلام» بخبرته في القيادة فامتلك لجامه بقوة وحاول مُخالفة الطريق والإكمال إلى الأمام وعدم الرجوع، ولكنه لم يستطع ظنًا منه أنه لم يصبح قادرًا على قيادة فرسته بعد، فاستدارت الفرسة واستدار معها «إسلام» مُجبرًا مُتعجبًا، فلاحظ «عصام» تشنُّج الفرسة فضحك وبدأ في الحديث مع «إسلام»:

– إحنا اتفقنا على الطلعة الصغيرة.. عايز تكمل الكبيرة ولا نرجع؟

فلم يكن هذا ما يريد «إسلام» معرفته فسأله:

– هو أنا لما أدي الحصان أمر مبيعملوش ليه؟

فابتسم «عصام» من السؤال وأجاب:

– هو أنا لو جيت بيتكوا ينفع لامؤاخذة أدخل أقول لأمك قومي اعملي لنا كوبايتين شاي.

فلم يفهم «إسلام» ما يريد قوله فأبدى على وجهه علامات عدم الفهم ففسر «عصام»:

– مينفعش تؤمر حاجة مش بتاعتك وتستناها تنفذ.. عشان تؤمر لازم تكون حاجة مِلكك إنت.

تعجّب «إسلام» لما يسمع وسأل ساخرًا:

– يعني إفترض إني جيت سرقتك بليل في الأحصنة دي.. مش هيرضوا يمشوا معايا.

فأجاب «عصام»:

– تسرق من النزلة! مش بقولك خواجة.. كل حصان في النزلة عارف بيته ومكانه.. لو سبتلك الفرسة من عند البيت وقولتلها الطلعة الصغيرة وسكت.. هتمشي بيك من عند البيت لحد الطلعة وترجع تاني وهتفضل واقفة عند البيت مش هتتحرك إلا أما أديها أمر تاني.. ولو أخدت أي

obeikandl.com

حصان من عندي حطيته على أول النزلة من برة ومشيت ومرجعتلوش وروحت بيتنا هيحصلني بعدها بساعة ولا حاجة.

أحس «إسلام» بقدرٍ كبيرٍ من الاستفادة والمعلومات الغزيرة التي تلقاها على يد «عصام» ولكن طرأت عليه أسئلة كثيرة أراد أن يعرفها، فبدأ مُجددًا:

– فيه ناس كتير بتقول إن الخيل والجمال اللي خرجت في موقعة الجمل في الثورة إن كلها من النزلة هنا.. الكلام ده صح؟

سكت «عصام» لثوانٍ طويلة تأمل فيها «إسلام» يحاول الاستدلال من هيئته على أي شيء قد يجعله يسأل مثل تلك الأسئلة، فلم يستطع «عصام» التوصل لشيء من خلال النظر فأجاب:

– بُص إنت قديم أوي.. بس هجاوبك.. معروف إن مفيش أي مكان في البلد هيعرف يخرَّج أعداد زي دي من الخيول والجمال إلا النزلة.. بالبلدي كده خيول مقطعة بطايقها وميتخافش عليها.. ومصر كلها عارفة إن دي خيول النزلة ومتأكدين من كده كمان.

فسأل «إسلام» بنبرة عالية:

– وإزاي مفيش حد من اللي خرّج الخيول خد جزاءه؟

فقضى «عصام» على الآمال المُتبقية لدى «إسلام» فأجاب قائلًا:

– الناس مسكت الخيول في الميدان وعلقوا عليها يُفَط غنايم معركة الجحش ومعركة الجمل.. وقعدوا يهزروا ويتصوروا جنبها.. وهما عارفين إنها خيول النزلة.. ومفيش واحد يوحد ربنا شغَّل دماغه وخد قرار إنه يرجع الخيول النزلة ويقطُرها لحد ما توصل بيتها ويحاسب أصحابها.. الخيول ذكية آه بس مش لدرجة إنها تتوهك.. أو تتأكد إنك مش قاطرها عشان ترجع مكانها.. يمكن يكون حد فكر في حاجة زي كده.. بس أنا متأكد إنهم لو خدوا القرار ده في مليون واحد من الحكومة هيمنعهم.. عشان لو الخيول رجعت نزلة السمان كلها هترجع على بيت واحد بس.. وبرضه مش محتاج أقولك إن مصر كلها عارفاه وعارفه إنه من حبايب النظام ومن بتوع مجلس النواب.

فقال «إسلام» مُتحمسًا:

– بس النظام إتغير وجه نظام غيره.

فضحك «عصام» قائلًا:

– إتغيّر..هاهاي.. إتغيّر ويحيّر.. حمد الله ع السلامة يا برنس ومرحبًا بيك في كوكو الأرض.

نزلوا من على ظهور الخيل ومازال «إسلام» شاردًا يُفكر في كل ما قيل وعرف في بعض الدقائق، فقام بدفع ما اتفقوا عليه، وأعطى «عصام» رقم هاتفه المحمول إلى «إسلام» يخبره فيه أن يتصل به قبل أن يأتي مُجددًا ليحجز له فرسًا مُجتهدًا جيدًا وسريعًا.

* * *

عصر الثلاثاء.

دخل الملازم أول «عمرو صبحي» مكتب الرائد «حاتم عابد» وأخذ يتحدث معه قرابة العشر دقائق في بعض أمور عملهم حتى دق جرس هاتف الرائد «حاتم عابد»، فتلقى المُكالمة في صدمةٍ روتينية بحُكم عمله وقام مُسرعًا في اتجاه مكتب العميد «عامر الشناوي» ليخبره بما تلقى، وانصرف عنه بصحبة الملازم أول «عمرو صبحي» إلى خارج القسم ويقتادان قوة عسكرية تجاه أسفل جبل المقطم مُجددًا، وما أن وصلوا والتقوا برجال النجدة الذين تواجدوا قبيل دقائق فتوجه إليهم الرائد «حاتم عابد» ببعض الأسئلة الروتينية قبل أن يتوجه إلى مكان الجُثة المُلقاة خارج تجويف دائري أقرب إلى الطريق الأسفلتي المُمهد، مشابه للتجويف الذي عُثر فيه على جُثة «أحمد راضي»، ليس نفس التجويف ولكنه التجويف الخالي المجاور الذي امتلأ من ثمانية أيام بجثة مُختلفة، توقف التفكير لدى الرائد «حاتم عابد» لدقائق، لا يعلم فيم يفكر، في الجريمة الأولى التي سبقت بأسبوع

تقريبًا، أم في الجريمة الثانية المجاورة التي وقعت الآن، نفض رأسه ونحى أفكاره جانبًا وجلس القرفصاء بجوار الجُثة يطلع عليها، ينظر جيدًا ويتخيل الوجه دون دماءً منثورة في كل الاتجاهات، لا يريد أن يلمس شيئًا حتى يصل رجال النيابة العامة، ولكنه عزم على قضاء وقته في تأمل الجُثة، فدقق أكثر في الملابس والجسد والذراع والشعر فوجد، جُثة «عادل محمود شوقي»، انتفض واقفًا ينظر بهلع إلى الرأس، يحاول أن يخترق رأس «عادل» ويفكر بطريقته أو بطريقة تفكير صديقه الذي سبقه بأيام، هل هما من خصصا تلك التجاويف من أجل أن يدفنا نفسيهما فيها، ولكن إذا كانا هما من فعلا ذلك، لماذا عُثِر عليهما فوق الرمال وليس تحتها، سرت رعشة شديدة في جسد الرائد «حاتم عابد» لاحظها المتواجدون فقبض على يده بشدة وأخد يسير ببطءٍ بين التجويفين وينظر تجاه الجُثّة، ابتعد قليلًا عن مكان الجُثة الواقعة خارج التجويف وذهب بعض الخطوات تجاه التجويف الآخر، الممتلئ سابقًا، فرأى بعض قطرات الدماء الجافة على الرمال، فأدرك أن الشلال الرملي الذي أطلقه بقدمه منذ أيام لم يكن كافيًا لاخفاء كل الدماء، فأطلق بحذائه شلالًا رمليًا آخر أخذ معه غيظه وارهاقه وتفكيره ليقضي على آخر القطرات المتبقية في التجويف السابق، وصل وكيل نيابة المقطم «تميم عبدالفتاح» إلى مكان الحادث وتوجه مباشرةً إلى الرائد «حاتم عابد» الذي لم ينتظره حتى يسأل فأجاب:

– كويس إن سعادتك اللي اتكلفت مش حد تاني من الزملا.

فلم يفهم «تميم» فاستفسر:

– ليه؟

فأجاب الرائد «حاتم عابد» بإيجاز:

– جُثة «عادل محمود شوقي».

تلقى «تميم» الإجابة بأسى فأغلق عينيه ورجع برأسه إلى الخلف قليلًا ونظر إلى أعلى وزفر بشدة ثم عاد بنظره إلى الرائد «حاتم عابد» وسأل:

– وبرضه مفيش أي دليل على أي حاجة؟

فسكت الرائد «حاتم عابد» لثوانٍ معدودة قبل أن يتجه بعض الخطوات مُبتعدًا عن التجمهر الأمني ليتبعه «تميم»، ففسر الرائد «حاتم عابد» قائلًا بطريقة فلسفية تحليلية مُتقنة:

– «عادل محمود شوقي».. شاب مُصاب بمرض نفسي.. طلب الزواج من فتاة ورفض أخوها الأكبر.. فقام بضربه بآلة حادة على رأسه أدت إلى هبوط حاد بالدورة الدموية ثم ألقاه من فوق جبل المقطَم.. وحينما تقلصت دائرة البحث عن الجاني وكان هو المُتهم الرئيسي.. هرب من محبسه وعند مطاردة الشرطة له قام بإلقاء نفسه من أعلى جبل المقطم.

فنظر «تميم» إلى الأرض هنيهةً وقال:

– كده هتبقى ريحت دماغك وانت نفسك عارف إن نُص الكلام ده محصلش.. هنفترض إن كلامك صح.. ليه اللي فات في تجويف وده برة التجويف اللي جنبه؟ ليه في تجويف أصلًا ومعناه إيه؟ مين قالك إنه مصاب بمرض نفسي؟ مع إفتراضنا إنه هو مريض نفسي وهو اللي ضرب «أحمد راضي» بآلة حادة على راسه ورماه وخلص من عقدته.. إيه الدافع اللي يخليه يقتل نفسه بنفس الطريقة تقريبًا أو حد يقتله بنفس الطريقة وأنا أشك في ده؟

فالتقط الرائد «حاتم عابد» أنفاسه وأجاب بثقة فلسفية:

– دافع انتحار «عادل محمود شوقي» هو سبب من إتنين.. يا إما إنه عرف إن عقابه جاي لا محالة لإنه متهم بالقتل والقضية شبه لبساه.. والسبب التاني والأرجح إنه حس بذنبه في اللي عمله مع صاحبه وقرر يشوف نفس المصير.

أسرع «تميم» في رده على الرائد «حاتم عابد»:

– الكلام ده كله مش صح خصوصًا إن الجُثة لسه متشرحتش ولا عرفنا أي أسباب ولا أي دلايل على أي حاجة.. ياريت نمشي في القضية واحدة واحدة ونفسرها ونحلها بعقلانية مش بأريحية دماغ وتخلص منها.

شعر الرائد «حاتم عابد» بإهانته من كلام «تميم» الذي كان في محله، فسكت وتركه يعمل عمله الروتيني الذي لن يجعله يصل لأي شيء في مثل

تلك القضايا، ولكن كل ما كان يدور في رأس «تميم» وقتها، إذا كان «عادل» ليس له علاقة بقضية قتل «أحمد راضي»، فكيف عرف المكان الذي عُثِر على جُثته فيه؟

* * *

خبطات متتالية متناسقة وجرس لا يتوقف جعل «جمال» ينتفض من مكانه تلبيةً لنداء من يقف خلف الباب، ففتح له وانفرج فمه لرؤية الضيف فرحَّب به كثيرًا، كان الضيف هو «حسام منصور» صديق لـ «جمال» ورئيسٌ لابنه «إسلام» في عمله، حضر «حسام» بزيٍ مُهندم كعادته، بذلة أنيقة برابطة عنق سوداء، شعرٌ مُنسق بحرفية، وجهٌ قمحي نظيف، أدخله «جمال» وأجلسه وغاب عنه دقائق يحضر له مشروبًا وعاد إليه مُجددًا ليسأل أسئلة روتينية ملّت ممن يسألونها:

– وإنت إيه أخبارك؟

فأجاب «حسام» بروتينية أيضًا:

– كله تمام الحمد لله.. أومال فين «إسلام»؟

فعاتبه «جمال» بودٍ:

– يا راجل وأنا اللي فاكرك جاي تزورني وتقعد معايا.. أتاريك جاي تسأل على «إسلام».

فألقى «حسام» بما يحمل:

– متآخذنيش يا «جمال».. «إسلام» بقى يتدلع الفترة الأخيرة زيادة عن اللازم.. عمل مشاكل كتيرة مع عملا عندنا في الماركت في الفترة الأخيرة ودلوقتي داخل في عشر أيام مبيجيش أهو من غير إذن.. إنت طبعًا عارف هو لو مع مدير تاني غيري كان هيبقى وضعه إيه دلوقتي.. محدش لاقي شغل عشان يتنطط عليه ويقول له لأ.

تفهّم «جمال» كلامه واستفسر بحدة وتوعُّد:

– مشاكل إيه؟

فأجاب «حسام»:

– حاجات كتير هحكيلك إيه ولا إيه.. لما يجي عميل الماركت ويشد في الكلام مع أي كاشير عندي مرة بقول تناكة عملا.. إنما كل يومين عميل مختلف يشد في الكلام مع «إسلام» يبقى مش تناكة عُملا.. لو هو مش عايز الشغل وبيتكبر عليه في كتير غيره محتاجه.. عميل شكله رخم ومش عاجب إبنك يحاسبه ببطء شوية ويعصبه.. عميل بيتكلم في التيليفون الباشا ميحاسبلوش إلا أما يخلص تيليفونه قال عشان يعيره اهتمام.. وآخرها عميل

دخل اشترى بأربع تلاف جنيه أكل قطط وكلاب رايح يقوله بابتسامة حضرتك مُبذِّر.. عيني عينك كده!

ابتسم «جمال» واستطرد ساخرًا:

– طب والله معاه حق.. أربعة تلاف جنيه للقطط والكلاب.. يابن القطط والكلاب.

رد «حسام» بعصبية:

– يا جدع إنت أنا في إيه ولا إيه.. متجننيش!

فُتح باب الشقة من الخارج ودخل «إسلام» وألقى السلام وتوجه إلى غرفته مباشرةً وقام بتغيير ملابسه التي امتلأت برائحة الخيول وخرج للجلوس معهما، فتوجه له «حسام» بالسؤال:

– مبتجيش ليه يا «إسلام»؟

فأجابه:

– آسف يا أستاذ «حسام» في ظروف عندي اليومين دول وواحد صاحبي اتقتل ودماغي مقلوبة.. يومين بالكتير إن شاء الله وهتلاقيني موجود عندك باستمرار.

فأنهى «حسام» قائلًا:

– البقاء لله.. ولو إني مش مقتنع بس مفيش قدامي غير إني أستنى.. السلام عليكم.

قالها «حسام» ونهض من مجلسه ماشيًا نحو الباب.

* * *

حان وقت تغيير النوبتجية لأفراد أمن العقار الذي كان يقطن به «عادل»، وصل «عماد» إلى مدخل العقار ليجد «رامي» ينتظره وهو يستند بكوعيه على المكتب ويستند بوجنتيه على قبضتي يديه ووجهه ينظر إلى المكتب الفارغ من كل شيء إلا دموعه التي لم تتوقف عن السقوط لمدة تزيد على الخمس عشرة دقيقة تقريبًا، فلاحظ «عماد» الدموع المتساقطة تباعًا فانقبض قلبه واقترب منه في بطءٍ ووضع باطن يده على ظهر «رامي» في مواساة لم يعلم سببها حتى سأل «عماد» بقلقٍ:

– في إيه يا «رامي»؟

فأجاب «رامي» بصوتٍ مُتغشلق ونبرة عالية بعض الشيء:

– «سامح» مات.. الله يرحمه.

فسكت «عماد» لثوانٍ ونظر إلى أعلى للحظة ليهبط بنظره مرة أخرى ويسأل:

– «سامح» مين؟

ففسر له «رامي» بنبرة أهدي من سابقتها:

– صاحبي في الكلية وجالي هنا مرة وإنت كنت موجود وشُفته تقريبًا.

فتذكره «عماد» وبدأ يظهر على وجهه ملامح الحزن والأسى وأردف «رامي» بهستيرية دون سؤال:

– رفض إنه يتعين في الوزارة بـ ٨٠٠ جنيه وقال هيسافر أي بلد برة يشتغل فيها أي حاجة.. ومعرفش يطلّع الفيزا.. ناس وصلوه لواحد بيسفّر الشباب بطريقة غير شرعية.. خد منه تحويشته ٢٠٠٠ جنيه عشان يموته موتة نضيفة في المحيط.. أنا آه شجعته إنه يروح يموت في المحيط بألفين جنيه بس.. يا بلاش.. مش أحسن ما كان يقعد يتفرج على موته بالتصوير البطئ بالألفين جنيه هنا؟ حسبي الله ونعم الوكيل.. والله حرام يا عالم.

أصوات (السرائن) اقتربت بشدة حتى وصلت إلى أمام العقار وتوقفت السيارات المتتالية وتوقفت معها (سرائنها) ونزل منها الرائد «حاتم عابد» وتوجه إلى الداخل ليرى العزاء المقام بداخله فيخبرهم أن هذا العزاء لشخصين وليس واحدًا.

فيقضي عليهم.

تمامًا.

* * *

الأربعاء.

٨ يناير ٢٠١٤.

الثامنة صباحًا.

على غير العادة استيقظ «إسلام» مُبكرًا تلبية لنداء هاتفه الذي لم يتوقف عن الإزعاج حتى لكمه بيده فسكت، التقطه ونظر إليه قليلًا ليعرف الساعة ثم أعاده مرة أخرى، الكسل يمتلكه والتخاذل يقيده، رفض الاستسلام لهما ونهض بنصفه العلوي فقط بزاوية تسعينية ومدَّ كلتا يديه إلى الجنبين عن آخرها يتمطع، أزاح غطاءه الثقيل وابتعد عن سريره وغرفته لدقائق قبل أن يعود إليها مُجددًا وقد استفاق كليًا جراء المياه التي اخترقت مسامات وجهه كلها، قام بتغيير ملابسه في عُجالة واتخذ معه دفتر رسوماته الذي ورثه عن صديقه وأصبح لا يفارقه أيضًا، نزل من بيته قاصدًا «المنيا»، بالأخص مركز «مطاي»، بالأحرى «كفر الكوادي»، يعرفها جيدًا عن ظهر قلب، المكان الذي وُلد فيه والده وعاش به، ذهب إليه مرات كثيرة، ولكنه لم يكن يقصد هذا المكان بالتحديد، هو ذاهب لمكان ميلاد والد صديقه، مكان ميلاد «راضي حامد»، وبالأخص إلى بيتهم هناك، أخذ مفتاح البيت من «راضي» بأعجوبة، لم يكن أمامه سوى أن يذهب ليقضي يومًا في المكان الذي عشقه صديقه، يريد أن يعرف ما سبب هذا العشق، فليعرف بنفسه، أولها كره المكان لطول الطريق، ولكنه أحبه شديدًا لعدم شعوره به نظرًا لشروده وتفكيره، الجو كان معتدلًا جدًا فلم يملل من السيارة كما

اعتاد عند السفر في الصيف، وصل إلى «مطاي» ثم إلى «كفر الكوادي» في الثانية عشر تقريبًا، مشى ببطء في القرية ينظر يمينًا تارة ويقف ليرجع ببصره وينظر إلى اليسار الذي لم يسعفه النظر لجمع كل الأراضي الزراعية في مشهد واحد للاستمتاع بنضرتها وجمالها، بدأ أن يقنع نفسه أن تلك المناظر من الأسباب التي جعلت صديقه يعشق ذلك المكان، مشى كثيرًا وشاهد أكثر، أضاع وقتًا كبيرًا في النظر إلى الأفدنة المُخضرَّة، وصل إلى نقطة منتصف بين منزل والده وبين منزل والد صديقه، أصابته الحيرة ولم يعرف من أين يبدأ، رفع المؤذن أذان الظهر، فعرف «إسلام» من أين سيبدأ، دخل وتوضأ وانتظر إقامة الصلاة وصلى وخرج، اتخذ قرار بداية جولته من منزل والد صديقه، مشى في اعتدال تجاه المنزل وأمامه رجل يمشي مسرعًا بعض الشئ، يرتدي جلبابًا بني، وعمامة على رأسه، يلق السلام على كل من يقابل من أهل قريته، أسرع بعض الشيء حتى غاب عن عين «إسلام»، إلى أن وصل إلى منزل والد صديقه ووقف أمامه ينظر إلى الأراضي الخضراء المقابلة لمنزلهم ويقنع نفسه مُجددًا أنها من ضمن أسباب حب صديقه لهذا المكان، توقف عن التفكير للحظات قبل أن يستدر بوجهه إلى المنزل ويتجه إلى بابه ويخرج مفتاحه الذي حصل عليه عن طريق «راضي»، حاول فتح الباب بمفتاحه ولكنه لم يستجب، زادت محاولاته بلا نتيجة، تعنف بعض الشيء تجاه الباب الذي ظنه قد أغلق كثيرًا حتى اعتقد أنه لن يُفتح

بعد، زادت محاولاته حتى أصيب بالهلع وقتما أتاه صوت من داخل المنزل يسأل:

– مين بيخبِط؟

فلم يعرف «إسلام» كيف يُجيبه، عليهما أن يعكسا دوريهما ويسأل «إسلام»:

– إنت اللي مين؟

فُتح الباب الحديدي ببطء ليُصدر بعض السيمفونيات الهالكة ليتواجه كلاهما، كان بالداخل الرجل الذي كان يسير أمام «إسلام» من دقائق وقت خروجهما من المسجد، ولكنه كان بدون جلبابه البني، كانت نفس هيئته ولكن بملابس الكلسون، وكأنه يجلس في بيته، فتعجب «إسلام» قبل أن يسأل:

– إنت مين وبتعمل إيه هنا؟

سكت الرجل هنيهةً قبل أن يجيب بثقة:

– آنى فلاح وبَجعُد إهنه دايمًا عشان ماليش مكان أجعُد فيه.. «أحمد» بيه ابن صاحب البيت هو اللي جايلي أجعُد إهنه ولم ياچو هما

هيبلِغني جبلها أسيبهُلهُم كيف ما كان.. وأبجى أتصرف في أي حتة في اليامين دول.. مين سعادتك؟

لم يتعجب «إسلام» هذه المرة من الإجابة لمعرفته صديقه وأفعاله المعروفة عنه، فأجاب:

– أنا «إسلام» صاحب «أحمد راضي» الله يرحمه.

فصُعق الرجل وتلاشى جفنيه لتظهر عيناه وينفتح فمه:

– الله يرحمه؟! يابوي.. مات ميتى؟

فأجابه «إسلام» وهو يدخل إلى المنزل ويغلق الرجل خلفه:

– اتقتل من أسبوع..

وقبل أن يسأل الرجل أردف «إسلام» مُتعمدًا الإنهاء:

– ولسه منعرفش مين اللي قتله والتحقيقات شغالة.

فلم يصدق الرجل كل ما قيل وأراد أن يكون هذا مُجرد حلم سيفيق منه قريبًا، فقال بعفوية شديدة:

– إنت چاي تمزح معاي؟

فرد «إسلام» بنبرة حادة:

– أكيد أنا مش جاي من القاهرة لحد هنا عشان أقابل واحد معرفوش عشان أهزر معاه في حاجة زي كده.

فشعر الرجل بأخطائه فاعتذر قائلًا:

– آني آسف سعادتك.. آني هروح أشوف حتة أجعد فيها بس أمانة عليك تسيبلي المُطرح أجعُد فيه لما تيجي تعاود مصر.

أحس «إسلام» بقسوته فتلطف بقوله:

– أنا اللي آسف يا حج.. خليك قاعد ده بيتك.. وأنا شوية وماشي.

فأصر الرجل على الرحيل وقال:

– آني جاعد جِدام البيت لو عوزت حاجة عيِّط عليّ.. بالإذن.

قالها وتراجع بعض الخطوات إلى الباب وفتحه وخرج ورده بعض الشيء ولم يحكم إغلاقه من الخارج، ربما سَعِدَ «إسلام» قليلًا لتفهم الرجل أنه قد يكون بحاجة إلى وجوده بمفرده داخل المنزل فاستجاب لذلك، وربما شعر أنه يفعل ذلك حتى لا يجعله يغضب ويرفض إقامته بعض رحيله، لم يرغب «إسلام» في أن يشغل باله بما لا يفيد، فبدأ في النظر بتركيز من نافذة تطل على الشارع الخارجي ويتأمل فيها جيدًا، يمشي ببطء

داخل أرجاء الشقة ويتأمل كل ما فيها، لم يتغير فيها شيء، يحافظ الرجل عليها بشدة، الصور الخاصة بجد صديقه «حامد» مازالت مُعلقة على الحائط، طاف ودخل إلى المطبخ المُتهالك ومنه إلى غرفة «راضي» ليسمع سيمفونية بابها، دخل فتوجَّه إلى النافذة التي تقع في الجهة المُقابلة للباب ففتحها بهدوءٍ لينظر أمامه، فانتفض الرجل من تحتها واقفًا حينما فُتحت وأزاح جسده مُبتعدًا عن النوافذ حتى لا يقلقه الضيف مُجددًا، استدار «إسلام» وجلس على السرير المقابل له وفتح دفتر رسوماته على الصورة الخاصة بـ «كفر الكوادي»، وأخذ يتأملها بعناية، ثم وقف تجاه النافذة ثانيةً ويمسك بالرسمة في يديه ويتناوب النظر إلى الرسمة تارة وإلى النافذة والأرض المُقابلة تارة أخرى؛ فأيقن أن صديقه قام برسمها وهو يقف أمام تلك النافذة فهدأ بعض الشيء وأراح جسده إلى الخلف على السرير المُتهالك وتشابكت يداه خلف رأسه يُفكر فيما يفعل، قطع أفكاره وصول عينيه إلى رسمة مُشابهة للرسومات الموجودة في دفتر رسوماته، مُعلقة على الحائط المقابل عموديًا على السرير، فقام ببطء تجاهها ينظر إليها ويقف، ولا يكتشف شيئًا فيقترب أكثر وينظر، إلى أن أصبحت المسافة بينه وبين الحائط بعض السنتيمترات القليلة، فانتزع الدبوس الذي يحكمها والتقطها من على الحائط وقبل أن يعود بها إلى السرير مشى بحذائه على شيءٍ ما فتوجه إليه ببصره فكان حبلًا أصفر يرمز لمشنقة بها سبع عُقد متتالية، بين كل عقدة مسافة ثلاثة سنتيمترات تقريبًا، فالتقطها وعاد إلى السرير وجلس

يفحص اللوحة جيدًا، رسمة مُشابهة بشدة رسمتي كلٍّ من «يحيى عبد القوي» و«چورچ بستيس»، الرسمة الثالثة المُشابهة كانت لقطة رأسية لفرس يجري بسرعة ويتطاير فيها شعر رأسه وذيله وجميع أقدامه، وكان «أحمد راضي» هو الفارس الذي يركب عليه ويطير معه، والخلفية الثلاثة أهرامات أيضًا.

نفض «إسلام» كل أفكاره بعيدًا ليتذكر كل كلمة نطق بها «عصام» ليفهم معنى وجود فرس مرسوم تتطاير جميع أقدامه ولا يتلامس أيٍ منهم مع الأرض، فلم يتذكر في أول الأمر، ولكنه تذكّر بعدها أنه لم يخبره أي شيء عن الخيل سوى من يقف على رجلين وثلاث وأربع، اتصل هاتفيًا بـ «عصام» ليفسر له الصورة ولكنه لم يقدم له الجديد.

هبط «إسلام» بنظره إلى أسفل اللوحة ليقرأ اسم «أحمد راضي» بنفس النمط المعروف في مثل تلك الرسومات، الحرف الأول بحجم أكبر من بقية الاسم، شعر «إسلام» بقدرٍ كبير من العبقرية ولكنه لم يصل لشيء بعد، ما السبب الذي كان يأتي «أحمد» إلى «كفر الكوادي» من أجله، ربما سيعرف من خلال الرجل الذي يقيم هنا، فناداه وطلب منه الدخول، ففعل مُسرعًا، أجلسه «إسلام» وسأله بلطفٍ وود مصطنع:

– إيه علاقتك بـ «أحمد راضي»؟

ألقى الرجل نظرة سريعة على الرسمة المُعلقة سابقًا على الحائط والموجودة حاليًا بين يدي «إسلام» قبل أن يُجيب بثقة:

– آني من سبع شهور أبويا توفى وكنت عايش معاه في شجَّة صغيرة.. أبويا كان آخر حد فاضل لي.. بعت الشجّة واشتريت أربع جراريط جِدام البيت وجولت أجلع فيهم واسترزج واشتريلي بيت تاني لما ربك يريد.. فاشتريتهم ودفعت فيهم كُل اللي ورايا واللي جِدامي.. بنيت أوضة صغيرة چوة الأرض بس لجيت فيها أكتر من حربايا ومكنتش بطمن أنام فيها.. بجيت أنام في المسجد لحد الصيف اللي فات لما كان «أحمد» إهنه وفتح البيت وكنت وجتيها شغال في الأرض وكان هو واقف في الشُبّاك وطلبت منيه جزازة مياه ساجعة.. دخل وغاب دقيقتين تلاتة وچالي معاه جزازة مياه ساجعة وكوباية شاي.. جعدت تحت الشباك أشرب وهو جاعد من چوة الشُبّاك واتحدتنا كَتير والكلام چاب بعضياته لحد ما عرض عليّا إني أجعُد في البيت من بعد ماهو يمشي وكده كده البيت فاضي ومحدش بيستخدمه.. وجال لي قبل ما ياچي تاني هيخبّرني.. وجال لي خد راحتك إكمنه مبيچيش على طول.. ريحت حبابة وجومت أكمل وهو فضل مكانه وكان معاه كراسة رسم جاعد بيرسم فيها.. كَمَلت شغل في الأرض وهو جاعد يرسم ويبص عليا وآني شغال.. مافاهمش ليه.. في الأول كنت فاكره بيرسم المنظر.. لكن لجيته بعدها علَّج الصورة اللي في يدك ديّ على الحيطة ولجيته مش المنظر.. فاستغربت.

فكر «إسلام» للحظات يربط ما قاله الرجل بالرسومات الموجودة معه، فتح دفتر الرسومات على اللوحة الرابعة وأدارها تجاه الرجل لينظر إليها بدهشة ثم يسأل فرِحًا بعض الشئ:

– هي دي اللي كان بيرسمها وجتيها؟

فابتسم «إسلام» ببساطة ورد:

– تقريبًا هي.

ألقى «إسلام» نظرة على تاريخ الرسمة فوجدها من نفس الفترة تقريبًا التي تحدث عنها الرجل، رن هاتف «إسلام» فتعجب قبل أن يخرجه ويجيب نداءه، كان «تميم» هو المُتصل وبادر بالحديث:

– عايزك تجيلي بكرة ضروري.

– من غير ما تقول كنت هتلاقيني عندك بكرة.

فتعجب «تميم» وأردف بنبرة تحتمل السؤال والإخبار:

– فيه تطورات في القضية.

فضحك «إسلام» وقال ساخرًا:

– إحتمال كبير هيكون فيه.. إنت عرفت منين.. إنت بتراقبني يا باشا ولا إيه؟

ففهم «تميم» أنه لديه الجديد أيضًا فصحح له:

– أنا مش بسألك فيه تطورات من عندك ولا لأ.. أنا بقولك بالفعل فيه حاجات جديدة.. هستناك بكرة.. سلام.

أنهى «تميم» المُكالمة مع «إسلام» واتصل مُجددًا بالرائد «حاتم عابد» يخبره بضرورة تواجده هو الآخر أيضًا في الغد.

* * *

عاد «إسلام» إلى منزله دون أن يلاحظ أحدٌ سفره، ودخل إلى غرفته في صمتٍ وأغلق بابه وأحكم إغلاقه من الداخل ورمى بالمشنقة الصفراء ذات السبع عقد ودفتر الرسومات على مكتبه وتخرج منه الصورة الأخيرة التي وجدها في منزل «راضي» بـ «كفر الكوادي»، أحضر فنجانًا من القهوة ثم جلس أمامهما وأخرج من أدراج مكتبه بعض الأوراق ناصعة البياض وأقلام ملونة بالأزرق والأحمر وفتح حاسبه المحمول وجلس يتفنن في التحليل، أمسك بأول ورقة فارغة وكتب أسامي الرسومات تباعًا وبترتيبهم في الدفتر.

«أسعد القط»، «وائل مرزوق»، «رامي سيد»، «كفر الكوادي»، «چورچ بستيس»، «يحيى عبدالقوي»، «أحمد راضي».

انتهى «إسلام» من كتابتهم وبدأ يربط بين الشخصيات في عامل مشترك، ولكنه لم يتمكن من ذلك، ليس كل الرسومات لشخصيات، رسمة «كفر الكوادي» تقف أمامه عائقًا كبيرًا، من الممكن أن يعتبر أنها صورة للرجل الذي قابله في نهار اليوم، ولكنه تراجع لأنها لم تكتب الرسمة باسمه، وكيف يربط بين جميع الشخصيات برابط واحد وهو لم يتقابل مع بعضهم أو مع أهلهم مثل «أسعد القط»، بدأ يتعامل مع الصور كحل الكلمات المُتقاطعة ويأخذ الحرف الأول الذي يُكتَب دائمًا بخط أكبر من البقية، فأخذ الحرف الأول من كل اسم وكتبهم بالترتيب في ظهر نفس الورقة.

فكتب «أ» «و» «ر» «ك» «چ» «ي» «ا».

تنهد طويلًا يفكر في تلك الحروف وهل لها من معني إذا تم تجميعهما لكلمة واحدة، كان يعرف استحالتها ولكنه قرر المحاولة، سبعة حروف سيتم ترتيبهم مرات مختلفة ليخرجوا لنا بعشرات الآلاف من الأسماء، بدأ في تجميع الحروف بالترتيب، فكتب حرف الألف «أ» أولًا ستة مرات متتالية في سطور مختلفة ووزع عليها بقية الحروف بترتيب، فخرج بأسماء كثيرة، فكَّر للحظات ما لو كان لا يوجد اسمٌ؟ أو اذا كان موجودًا فعلًا لكنه لا يبدأ بحرف الألف «أ»، قام بتوزيع باقي الحروف تباعًا لساعات فكان لديه

مئات الأوراق تقريبًا يحتوون على كل الأسماء تقريبًا، سحب حاسوبه المحمول من على مكتبه وفتحه، بدأ في فتح محركات بحث عديدة ومواقع ترجمة كثيرة، بدأ يبحث فيهما ويترجم معنى الكلمات التي وصل إليها، بدأ بيدٍ سريعة يكتب في مواقع الترجمة ومحركات البحث عن الكلمات تباعًا، لا يجد فيسرع بالمسح من على الحاسب والشطب بالقلم على الورقة حتى لا يعيده مرة أخرى، يبحث بغيره ويترجم غيره، لا يجد، فيمل، فأحس بضياع فارق بعض الثوان من الانتقال بالاسم بين مواقع الترجمة ومحركات البحث، فنوي على ترجمة كل الأسماء ثم البحث عنها كلها، فكان ذلك يوفر له بعض الثوان، فبدأ بكتابة سريعة على مواقع الترجمة، واستمر ذلك لبضعة ساعات زادت على الأربع، قبل أن ينتهي من ترجمتهم كلهم ولا يجد أي شيئًا من تلك الكلمات له ترجمة كما كان يعتقد، فقد الأمل في البحث، لو كان هناك ما يُبحَث عنه لكُتب على الأقل في مواقع الترجمة، يئِسَ كثيرًا وقرر إكمال البحث، أغلق مواقع الترجمة واكتفى بمحرك بحث واحد لإنجاز وقته، يكتب ولا يجد فيمسح، يكتب غيره ويلغيه، كتب مئات الأسماء ومسحها حتى جاءه اسمٌ واحدٌ من سبعة حروف له صلة، ولكن الاسم الحقيقي مكونٌ من ثمانية أحرف وليست سبعة، فأدرك أنه بحثه ينتقص لوحة ما، الدائرة الحمراء!

اكتملت الحروف الثمانية واكتمل الاسم، وجد لهذا الاسم مئات المواضيع والمدونات تتحدث عنه، عاد برأسه إلى الخلف بشدة حتى كادت تسقط من جسده وأغمض عينه وابتسم ابتسامة ذات معنى، ثم عاد بنظره

إلى الحاسوب مرة أخرى يتأكد أنه لا يحلم، فتأكد، فرتَّب لوحات الدفتر ترتيبًا أعطى له تجميعًا للحروف الأولى من اسم كل رسمة، فأمسك بالقلم من جديد وكتب بخطٍ مُزخرف «أوركاچيا»، وبخطٍ أصغر كتب بجوارها «مؤقتًا»، فنوى الخلود إلى الأحلام، ولو مؤقتًا.

غاب عن وعيه لمدة الساعتين تقريبًا انتهز فيها جسده فرصة التمدد وأفاق مُجددًا. ليكمل قراءة مئات المواضيع التي وجدها.

* * *

الخميس.

٩ يناير ٢٠١٤.

الثانية عشر ظُهرًا.

آشعة الشمس تقتحم الغرفة بأكملها، الدفء يسود الغرفة، فتح عينيه بصعوبة، حمل رأسه إلى أعلى بأعجوبة، استفاق «إسلام» من غيبوبة إرهاقه وسط أوراق مترامية وموزعة على أنحاء الغرفة كلها، نظر لهم هنيهةً قبل أن يبدأ في جمعهم بفتورٍ تام، انتهى من جمعهم وتنسيقهم داخل دفتر الرسومات، أغلق حاسوبه وأعاده حيث كان بالأمس، غيَّر ملابسه بأخرى للخروج، تهندم بعض الشيء، أخذ دفتر رسوماته وبداخله أوراق أبحاثه التي أجراها بالأمس معه، خرج من منزله قاصدًا مكتب «تميم» بنيابة المقطم،

شرد طيلة وجوده في المواصلات، ينتزعه تنقله بين المواصلات من شروده، ينظر إلى كل المُشاة بالشوارع ببروز عين واهتمامٍ شديد تُظهره كأحدٍ من معارفهم، التزاحم المروري بوسط المدينة أجَّل ميعاده، وأتاح له الفرصة لمتابعة الناس لوقتٍ أطول، يرى في طريقه السيدات موحدات الزي عن غير قصد بردائهن الأسود، كن في صفوفٍ متتالية ومسافة شِبه متساوية يجلسن وكلٌّ منهن أمامها قفص يختلف ما يوضع عليه من أكياس المناديل إلى الولاعات إلى الحلوى إلى علب الكبريت، يجاورهن بائعي المشروبات الباردة كالتمر والعرقسوس والسوبيا، يليهم تاجر أحذية لا يعرف ڤتارين العرض الزجاجية ولا يطيق جمهورها، يعرف جيدًا الأقمشة المفروشة أرضًا والأحذية الموضوعة بتنسيق فوقها، طعامه من جاره صاحب عربة طهي الكبدة، شاب يزين وجهه ببعض الألعاب البلاستيكية التي تخفي ملامحه الأصلية البائسة، يسير بها بين السيارات من أجل الكسب، وآخر أصغر سنًا يسير ببعض علب المناديل بين السيارات.

سوق كامل متكامل يصلح للتسوق على جانبي الطرق.

ربما يتمنون أفضل من ذلك، تحرك موكب السيارات المُعطلة للازدحام ببطء، أتاح ذلك لـ «إسلام» مُشاهدة لقاء جديد، وحياة أخرى يتعرف على تفاصيلها من خلال النظر، رجل يجلس على الرصيف يعجن الرمل بالماء ويقلبه قطعًا بين يديه قبل أن يرمي به في تجويف مائي ويهبط بوجنته على

يده في انتظار تسويته، طفل لم يتعدَ العاشرة من عمره في غياهب النوم على أحد الأرصفة والشمس تتعامد على وجهه تعامدًا لا يعرفه خط الاستواء، أم تحمل رضيعًا تتدلى رأسه وتسير به بين السيارات تطلب قوت يومها بأسًى بالغ، رجلٌ يهبط من حافلة ليصعد لأخرى حاملًا معه شهادة صحية ويطلب تلبيتها.

لا يهم صحة ما يفعلوه من عدمه، ما يهم أنه لا يوجد أحد منهم راضٍ عن ذلك، والأهم هو استحقاقهم لأكثر من ذلك.

وصل «إسلام» إلى نيابة المقطم بعد عناء الشمس والازدحام وبطء السير، دخل إلى مكتب «تميم» وقد قل حماسه لما جهزه، لا يعرف سببًا لذلك.

لأنه يسأل ويجيب عندما يكون وحده.. ويقنع نفسه بالإجابة أيضًا، ولكن إذا كان هناك من يسأل، فلن يستطيع إقناعه.

ألقى السلام وجلس فرحب به «تميم» والرائد «حاتم عابد» الذي سبقه في الحضور، لم يتوجه «تميم» بالحديث في أول الأمر لـ «إسلام» وقد أعطاه فرصة لالتقاط أنفاسه، تحدث في مواضيع عامة وعادية مع الرائد «حاتم»، مرت برهة من الوقت وهما على نفس الحال إلى أن قرر «تميم» التوجه بالسؤال لـ «إسلام» سريعًا، فباغته:

– عرفت إن «عادل» مات؟

أضاع «تميم» الوقت الذي أمهله له كي يلتقط أنفاسه من عناء الطريق، فصعقه بهذا الخبر وتجهم وجهه قبل أن يسأل متلعثمًا من دهشته:

– مات؟ مات إزاي؟

فأجابه «تميم» بغموض:

– لما نعرف «أحمد راضي» مات إزاي هنعرف «عادل» مات إزاي!

– مش فاهم يا أفندم إزاي.. هو لغز؟

فلم يُرِد «تميم» الإطالة في الشرح فلخص قائلًا:

– نفس الظروف اللي مات فيها «أحمد» بالظبط.. نفس المكان نفس الطريقة.. الاختلاف الوحيد في تقرير الطب الشرعي بين الاتنين إن «أحمد» اتضرب بآلة حادة قبل وقوعه أو إلقائه من فوق الجبل.

أثار هذا الكلام تساؤلات عديدة داخل نفس «إسلام» ولكنه قرر تأجيلها، فطلب منه «تميم» أن يدلي بالتطورات التي يعرفها ولكنه طلب منه تأجيل حديثه الذي سيطول لدقائق ليسمع فيها من خلالهما ما جرى في التحقيق مع الشيخ «وائل مرزوق» والشخصية المجهولة بالنسبة له إلى الآن «أسعد القط»، أخبره «تميم» بصحة ما ظنَّ به في أول الأمر أنه ليس لهم

obeikandl.com

علاقة بالأمر من بعيدٍ أو من قريب ولكنه أصرَّ، فبدأ «تميم» بسرد وتلخيص ما جرى في التحقيق مع الشيخ «وائل مرزوق» وعندما انتهى بدأ الرائد «حاتم» في سرد ما دارَ بينه وبين «أسعد القط».

وما إن انتهى الرائد «حاتم» من السرد، فطلب «إسلام» مُجددًا أن يعرف ظروف العثور على جُثة «أحمد راضي» وجُثّة «عادل» بأدق التفاصيل التي قد تعنيه، فكان له ما طلب.

انتهيا من التحقيق الذي أعده لهما «إسلام» عن غير قصد وترابطت الكثير من الخيوط داخل رأسه ولكن مازال يوجد عائقٌ وحيدٌ لا يعرف له سببًا، فطلب أخيرًا من «تميم» أن يطّلع على تقرير الطب الشرعي الخاص بـ «أحمد راضي»، فزفر «تميم» بضيق وألح عليه «إسلام» فسايره وأعطى له نسخة منه لمجرد النظر وفقط، نظرته الأخيرة للتقرير قبل أن يبدأ حديثه سهَّلت له مهمة إخفاء العائق الوحيد داخل السطور التي سيقرأها، وسيمحي هذا العائق ويمنع كليهما من السؤال نحوه ثقته وعبقريته في تحليل مالا يعرفانه، جهَّز أوراقه ورسوماته وقرر أن يبدأ فأنصت له الرائد «حاتم» وكذلك «تميم» الذي أشعل سيجارته وأحضر بعض الأوراق الفارغة ووزعها أمامه وانتوى تسجيل بعض ما سيقوله «إسلام» الذي نهض من مجلسه وأخذ يتمشى أمامهم في أنحاء الغرفة في ثقة وهو يشرح لهم ويعرض لهم بعض الصور والرسومات لإثبات صحة كلامه:

– «أحمد راضي».. آخر مرة كان معايا فيها ساب معايا عن غير قصد اسكتش رسومات خاص بيه مكنش بيسيبه لأي حد.. غير اسكتشات الرسومات العادية بتاعته.. الاسكتش ده فيه رسومات عمرها تلات سنين.. الاسكتش ده غير أي سكتش كان مع «أحمد».. كان عندي شك أن وراه حاجة.. على الأقل هيوصلني لأي خيط ولو صغير لسبب موته.. دلوقتي الاسكتش وصلني للسبب الرئيسي كمان.. إزاي؟! أولًا.. الاسكتش ده أما عرضته في الأول كان فيه ست رسومات ولوحة أخيرة كان فيها دايرة حمرا.. ولقيت امبارح لوحة تاني في بيتهم في «كفر الكوادي» مرسومة بنفس الشكل.. والاسم مكتوب بنفس النمط والحجم.. يبقى كده معانا تَمَن رسومات.. الرسومات كلها بتتفق في نمط وشكل معين مرسومة بيه مع اختلاف الشخصيات ألا وهو إن كل رسمة تحتها الاسم سواء لشخص أو مكان.. والأسامي كلها مكتوبة بنفس الشكل.. الحرف الأول دايمًا أكبر من باقي الحروف ومتلون باللون الأحمر.. بتجميع الحروف دي كلها هيبقى معانا سبع حروف على سبع صور مختلفة.. «أ» أسعد القط.. «و» وائل مرزوق «ر» رامي سيد «ك» كفر الكوادي «چ» چورچ بستيس «ي» يحيى عبدالقوي.. وأخيرًا وليس آخرًا.. «أ» أحمد راضي.. معانا سبع حروف لو شقلبت الحروف مرة قدام ومرة ورا ومرة التاني ومرة في النص والكلام ده كله.. هيبقى معانا أكتر من أربعين ألف اسم.. بالبحث في مواقع ومحركات

بحث عالمية كلهم اتفقوا ان الأربعين ألف اسم أو أكتر ملهمش معنى إلا اسم واحد بس من ضمنهم.. هو اسم «أوكيچارا».

أوقفه «تميم» في تلك اللحظة ليكتب وراءه الحروف ويتساءل:

– «أوكيچارا»!.. «أوكيچارا» تَمَن حروف مش سبعة ومعناها إيه؟

لم يُرِد «إسلام» أن يجعل الكلام عن طريقه فقط وأراد أن يكون هناك تفاعلٌ آتٍ عن طريقهما حتى ولو كان للاستفسار، فأجابه «إسلام» بثقة:

– وده هو الحرف التامن اللي مش مكتوب واللي هيدينا دلالة تانية دلوقتي.. اللوحة الخامسة في الاسكتش مش دايرة حمرة.. اللوحة الخامسة علم اليابان.. وأول الاسم حرف الألف «أ» وده اللي بيكمل للكلمة معناها.. اذًا اكتملوا التَمَن حروف واكتمل الاسم.. إيه هي بقى «أوكيچارا»؟ حلو السؤال ده.. «أوكيچارا» اسم منطقة غابات عند قاعدة جبل فوجي في اليابان.. وليها اسم تاني اللي هو بحر الأشجار.. بس الاسم الأشهر هو «أوكيچارا».. في روائي ياباني شهير اسمه «سيشو ماتسوموتو».. اتولد سنة ١٩٠٩ وعاش حوالي ٨٣ سنة.. خلال الـ ٨٣ سنة دول كتب رواية مشهورة جدًا ترجمة اسمها «البحر الأسود من الأشجار».. في رواية البحر الأسود دي بقى اتنين من شخصيات الرواية انتحروا في غابات «أوكيچارا».. من ساعتها وبقى الناس يروحوا للغابة دي من آخر الدنيا عشان ينتحروا وبس.. طلع ناس قالوا إن الراجل «سيشو ماتسوموتو»

مخلاش الاتنين بتوع روايته يموتوا كده بالصدفة في «أوكيچارا».. لأنها كانت بالفعل غابة للانتحار من قبل ما يكتب روايته.. وكان بيروحها المزارعين الفقراء وينتحروا هناك.. وتقريبًا كان فيه حد مفهمهم أنهم لما يعملوا كده أولادهم هيلاقوا أكل كتير بعد ما ينتحروا.. اذًا «سيشو ماتسوموتو» مخلقش غابة انتحار ولا حاجة.. هو معملش حاجة سوى إنه عرّف الناس بالغابة.. ومن بعدها بقى الناس اللي بيروحوا ينتحروا أعدادهم زادت جدًا.. انتحر من الخمسينات لحد النهاردة أكتر من ٥٠٠ شخص في الغابة دي.. وفي ٢٠٠٢ كان أعلى معدل انتحار في تاريخ الغابة.. الشرطة عثرت في السنة دي على ٧٨ جُثَّة.. من بعدها تقريبًا الشرطة في اليابان بتمشط الغابة أسبوعيًا بحثًا عن أي جُثث جديدة.. فيه بعض الطقوس المُنتحرين كانوا بيقوموا بيها قبل الانتحار وكلها خرافات أشهرها إن المنتحر قبل ما يموّت نفسه بيجهز سريرين واحد يخليه تحت منه وهو بيموّت نفسه عشان ينزل عليه والسرير التاني بينتظر موته لأن المُنتحر بيعتقد إن روحه مش هتبقى مُستقرة لو فضلت لوحدها.. كده إحنا خلصنا اليابان.. نيجي في مصر شوية.. هنعتبر «أحمد راضي» واحد من المُنتحرين اليابانيين القدامي اللي كانوا بينتحروا عشان أولادهم يلاقوا أكل كتير بعد ما ينتحروا.. بس مش هتبقى بالمفهوم ده طبعًا لأنه مكنش متجوز أصلًا.. بس بالمفهوم بشكل عام الناس اللي مش لاقية تاكل والمهم عندها هي ان غيرهم يلاقوا أكل وعيشة كويسة.. هنلاقيه متوفر عندنا في الرسومات اللي

موجودة في الاسكتش ده زي رسمة «أسعد القط» اللي زي ما «حاتم» باشا حكى لنا دلوقتي إنه راجل فقير جدًا بيشتغل في جمع الزبالة وتصنيفها وأكله من الزبالة نفسها رغم إنه بيجيله فلوس ولو بسيطة من شغله إلا إنه مبياكلش منها.. وبالنسبة للصورة المرسوم فيها «كفر الكوادي» هي في الحقيقة مكنتش صورة للمكان إنما كانت صورة للشخص المرسوم من ضهره وهو رافع الفاس.. وأنا قابلت الشخص ده إمبارح وهو من عينة «أسعد القط» بس يمكن حاله أحسن شوية.. كل اللي حيلته من الدنيا أربع قراريط اشتراهم من فلوس بيته اللي باعه وكان في نيته يعيش في الأرض لولا إنه لقى فيها أكتر من حربايا فبقى ينام في مسجد القرية زيه زي عابر السبيل برغم إنه من أهلها لحد ما «أحمد راضي» عرف الموضوع ده وقرر إنه يقعده في بيتهم اللي هناك.. لأنه كده كده محدش قاعد فيه.. هناخدها من منطلق المنتحرين الجُدد أو العاديين اللي بينتحروا لقسوة الحياة وصعوبتها والكلام ده.. هنلاقي حكاية ورا كل رسمة في الرسومات المتبقية.. نبدأها برسمة «رامي سيد» على سبيل المثال.. «رامي» شاب مصري طبيعي من اللي اتسألوا سؤال نفسك تطلع إيه لما تكبر يا حبيبي وجاوبهم الإجابة الطبيعية للسؤال السخيف «عايز أطلع دكتور».. وبالفعل «رامي» اجتهد ستة وعشرين سنة من عمره وبقى معاه بكالريوس طب واتخرج وجاي يتعين قالوله مرتبك ٨٠٠ جنيه.. بالمنطق البشري رفض لأنه مش المرتب اللي يبدأ بيه حياة صالحة طبيعية مستقرة.. وقال بالبلدي كده «فات الكتير ما

باقي إلا القليل».. قال يحضر ماچيستير ودكتوراه ويعلّي من شأنه شوية ومن راتبه.. بس للأسف مكنش يعرف إن الدولة بتلزمه بمصاريف الماچيستير والدكتوراه طالما إنه موافقش على الوظيفة أم ٨٠٠ جنيه.. «رامي سيد» دلوقتي فرد أمن في شركة ومرتبه ٩٥٠ جنيه.. بيتوزعوا من مكان للتاني حسب شغلهم ودلوقتي هو مكانه تأمين عقار.. لمجرد إن الوظيفة دي أعلى بمية وخمسين جنيه تقريبًا.. ده مثل أول عن الرسمة الأولى.. بالنسبة للمثل التاني وهي رسمة الشهيد «يحيى عبدالقوي».. أحد شهداء ثورة يناير.. أو بالمفهوم الجديد اللي بقى الطبيعي والمنتشر اليومين دول.. أحد المخربين بتوع يناير اللي بوظوا البلد.. «يحيى» والده متوفّي وهو وحيد أمه.. خلفته بعد اتناشر سنة جواز بدون حمل ولا مرة.. وبعد أما عاشت معاه فترة كويسة بتاع عشرين سنة وشوية.. واحد من الظباط قالها كفاية عليكي كدة.. وخده منها برصاصة في المخ ورصاصة هدية في كتفه.. «يحيى» – الله يرحمه – مكنش بيتخانق مع الظابط لا سمح الله.. لأ ده بس كان نازل بيقول أنا مش عاجبني اللي بيحصل مع «رامي».. كان نازل بيقول أنا عايز البلد تبقى أحسن.. بس لقى اللي بيقوله لأ إحنا مش عايزنها أحسن.. هي عاجبانا زي ما هي كده.

توقف «إسلام» للحظات عن السرد والتفسير ليلتهم فيها كوبًا من الماء من على مكتب «تميم» ويلتقط نفسًا نقيًا مارًا من أمام أنفه قبل أن يستطرد مجددًا:

– تالت مثل هي رسمة «چورچ بستيس».. «چورچ» كان ظابط شرطة اتقتل في أحد السجون أثناء الثورة برضه.. «چورچ» قدِّم في اختبارات الكلية الحربية وكلية الشرطة واتقبل في كلية الشرطة في نفس الدفعة اللي قدم فيها «أحمد راضي» برضه لكلية الحربية وكلية الشرطة واجتاز كل الاختبارات في الكليتين ومقبلش في الاتنين ومش محتاج نسأل عن السبب.. على عكس «چورچ» إلى خرج من تاني اختبار في الحربية اللي هو الكشف الطبي بسبب ضعف النظر.. بقدرة قادر «چورچ» اجتاز الكشف الطبي في كلية الشرطة.. والطبي المُتقدم كمان.. وفوقيهم الهيئة.. الاسم بالكامل «چورچ بستيس بشاي».. ابن العميد «بستيس بشاي» أحد قيادات قطاع الأمن المركزي.. أنا لو مكان «أحمد» مش هبقى عارف أنا محتاج أزعل على إني متقبلتش في الكلية.. ولا أفرح إني متقبلتش عشان مكونش أنا اللي هتقتل مكان «چورچ».. الله يرحمهم جميعًا.. باللي أنا شوفته وعرفته وأنا بدوّر ورا الرسومات حاجات خلتني أكره الدنيا فعلًا وممكن تدفعني أنتحر بس أنا الحمد لله مسلم وموّحد بالله..

تنهد «تميم» في تعجُّب قبل أن يسأل:

– وهو «أحمد» مش...

فقاطعه «إسلام» قائلًا:

– لو صِبر القاتل عَ المقتول يا «تميم» باشا.. آخر حاجة ممكن ننقنق فيها صورة الشيخ اللذيذ «وائل مرزوق».. شيخ معروف ومشهور ومنافق بغض النظر عن الإشاعات اللي حواليه ومدى صحتها.. وكلنا عارفين إنه لا يفقه شيء في الدين ولا يصلح أن يكون داعية أصلًا.. لأنه بيكرّه الناس في الدين.. لا دي لغة ديننا ولا دي طريقتنا.. ولكن وجوده مهم لأصحاب النفوذ.. يطبل لكلامهم ويدخل الدين في أي قرار يطلع منهم ويبقوا هما دايمًا صح.. ويضحك على الناس باسم الدين.. الشيخ ده لوحده سبب كافي إنه يخلي أي حد ينتحر.. خصوصًا إن «أحمد» على حد قول بعض معارفه من الخارجين.. إنه مُلحد.. ومش محتاج أسأل بعضهم عن إن الشيخ «وائل مرزوق» من الأسباب الرئيسية لإلحاده.. رسمة «أحمد» ليه تأكد لي ده.. كل اللي قولته ده أسباب تكفي وتفيض إنها تدفعه للانتحار.. وده يخلينا نرجع لأرض الواقع وتنفيذ الانتحار من ناحية «أحمد».. «أحمد» نفذ انتحاره في وقت عصبية وقت أما كان خارج مع «عادل» في حالة شد بينهم زي ما حضرتك قولت لي إن عامل الكافيه شهد بده.. المكان نفسه زي ما اتوصف فيه تجويفين واحد نزل فيه والتاني فاضي فهنرجع للخرافات اليابانية بتاعة السريرين وإن روحه هتبقى مش مستقرة لو مفيش مكان تاني جنبه.. وطبعًا لعدم إيمانه بوجود إله أصلًا فهيبقى طبيعي جدًا بالنسبة له تصديق الخرافات دي.. موضوع إنه ينط من فوق الجبل وينزل في التجويف ده طبعًا استحالة لأنه جسمه بيتحرك

في الهوا حسب وزنه.. لكن بمقارنة الجُثتين اللي ماتوا في نفس المكان.. هنلاقي إن جُثة «عادل» زي ما حضرتك قولت كانت برة التجويف وده إن دل على شيء يدل على إن وقت ما «عادل» نط من فوق الجبل نط لبعيد فنزل بره التجويف.. على عكس «أحمد راضي» اللي نط لقريب عشان ينزل جوة التجويف بالظبط.. ويأكدلنا ده كمان وجود علامات الكوتشي بتاعة «أحمد» فوق الجبل بغزارة جنب الحافة إنه اتردد أكتر من مرة قبل ما ينط على عكس «عادل» اللي علامات الكوتشي بتاعته كانت قليلة وبعيدة بتدل على الجري والقفز لبعيد.. وكلمة نط لقريب توصلنا كمان إنه يكون في احتمالية إن دماغه اتخبطت في أي صخرة كبيرة أثناء وقوعه وهي دي اللي أدت لموته حسب تقرير الطب الشرعي المذكور فيه نصًا «تعزي الوفاة إلى تهشم كامل بالرأس أدي إلى تهتك بالمخ نتج عن إصابة الرأس بآلة حادة أو ارتطامها بجسم صلب، مما أدى إلى هبوط حاد بالدورة الدموية وأدى إلى الوفاة».. وهنا تحتمل المعنيين.. إن يكون فيه حد ضربه فعليًا أو هو ضرب نفسه.. ده أولًا وده طبعًا مُستبعد لأن مفيش حد ضربه وبتمشيط المنطقة أعلى الجبل ملقيناش أي حاجة إلا شوية الرمل وآثار رجليه.. وثانيًا والأرجح بكل اللي اتقال إنه لما نط من الجبل أكيد منزلش واقف ومع التقلبات راسه جت في أي صخرة كبيرة وأيًا كان الخبطات اللي بعدها إلا إنه نزل في التجويف.. موضوع التجويف ده غريب شوية إن حد يروح يحفر حفرة ويطلع للجبل نفسه بمشوار

ومواصلات عشان يطلع ينط فيها.. بس من اللي قريته عن مُنتحري «أوكيچارا» يأكدلي إنهم عالم فاضية لدرجة إنهم يقعدوا يفننوا في الطريقة اللي يموتوا بيها وينفذوها بالظبط.. آخر حاجة حابب أقولها إن «أحمد» سايب سبب رخم يأكدلنا بيه إنه انتحر.. «يحيى عبدالقوي» مات مقتول في ميدان التحرير صورته مرسومة على فرس رافع رجلين المُقدمة ودي في عالم التماثيل الموجودة في الشوارع للزعماء المصريين معناها «وفاة في المعركة».. «چورچ بستيس» اتضرب برصاصة قعد بعدها يومين في المستشفي قبل ما يموت.. ولذلك رسمته كانت على فرس رافع رجل وحدة بس من الرجلين اللي قُدام.. ودي معناها في تماثيل الزعماء «توفى متأثرًا بجراحه».. والمفترض إن التمثال لو واقف على أربع رجول تبقى «وفاة طبيعية».. وده اللي مش موجود في الصورة اللي رسمها «أحمد» لنفسه.. لأنه رسم الحصان اللي راكبه بأربع رجول مرفوعة من على الأرض تمامًا.. إذًا هو ولا مات مقتول ولا متأثر بجراحه ولا وفاة عادية.. يبقى مش ناقص غير حاجة واحدة.. إنتحار!

انتهى «إسلام» من الحديث مُبتسمًا لثقته وتحليله وعاد إلى مجلسه من جديد ولم ينته «تميم» من شروده، بينما تناسى الرائد «حاتم» طبيعة عمله وسأل بنبرة طفل يقول لأمه أكملي لي الحدوتة كي أنام:

– طب و«عادل»؟

فأجاب «إسلام» بنبرة طبيعية انتهت بطريقة ساخرة:

– أعتقد إنه انتحر برضه ودوافعه إنه متهم بالقتل في قضية لبساه لبساه.. لكن لو عايز تفاصيل التفاصيل إديني تمانية وأربعين ساعة وملفه يكون على مكتب سعادتك.

ابتسم الرائد «حاتم»، وقتما أفاق «تميم» من شروده وسأل مُسرعًا:

– «عادل» عرف المكان اللي انتحر فيه «أحمد» إزاي؟

فأرجح «إسلام» رأسه يمينًا ويسارًا في إشارة لا أعلم، وبعد ثوانٍ معدودة أكمل:

– متهيألي مش صعب ولا بعيد أوي يكون عندنا مدينة مُتكاملة زي «أوكيچارا» في مصر قريب أوي زي اليابان.. القصص دي لو انتشرت المكان ده هيبقى زي «أوكيچارا» وأسوأ بكتير.. لأن معظم الطبقة الفقيرة والطبقة المتوسطة نفسهم في مدينة «أوركاچيا» جدًا اللي بقت موجودة بالفعل ومنقدرش ننكر وجودها، حتى وإن اختلفت الأماكن.. الفكر بقى موجود.. وده الأسوء.

أبدى «تميم» بعض الاقتناع لأغلب ما قيل ولكنه عزم على إكمال بحثه وتكوين الصورة كاملة أمامه لينتهي من القضيتين معًا، الأمر واضح له عقلًا وواقعًا.

لملم «إسلام» أوراقه وخرج من مكتب «تميم» سعيدًا لعبقريته وحزينًا لطريقة تفكير صديقه، شعر بالتخلص من همٍ ثقيل، تلقى مُكالمة من «ريهام» فتحدث معها بارتياحية كبيرة وسعادة غامرة تختلف عن حديثهما في الأيام الماضية، فتوجه إليها بمكانهما المُعتاد، ودخل إليها بابتسامة بائسة وبنظرة تحمل الكثير من زُهد الحياة جلس أمامها لتتناوب معه تلك المرة البداية بقولها:

– وحشتني.

فابتسم ابتسامةٍ صفراء وظل ساكتًا، أراد أن يحكي لها عن عبقريته وعما توصل إليه، فالتهم قرابة الساعة يحكي لها تفاصيلَ لا تريد سماعها، يحكي تفاصيلَ ربما لن تُفيدها بشيء ويتألم في ذِكر بعض المواقف بشدة حتى تعجبت منه، وتمنت أن ينجز قصته ليبدأ حديثهما الطبيعي الذي سيمتلئ بالمشاعر العاطفية دون همٍ وكلامهما عن موعد الخِطبة التي تنتظرها «ريهام» بشغف، فاستطرد:

– أنا كلمت باباكي..

وقبل أن تسأل عن أي شيء أكمل:

– أنا آسف مش هقدر أكمِّل.

انقلبت ملامح وتعابير وجهها لا تصدق ما تسمع، واحتل الشحوب وجهها أكمله، بالطبع لم تتقبل «ريهام» الفكرة وظنت أنه يمزح، دخل مُبتسمًا وجلس يحكي لها تفاصيلَ أشياءً لا تمت لها بصلة ليُنهي كل شيء بينهما، فماذا كان سيفعل إذا دخل ليخبرها بتحديد ميعادًا للزواج، فلما أحسَّت بجديته سألته عن السبب، فكانت إجابته هي الخوف.

فربطت إجابته الغريبة بمصير بعض أصدقائه ومن كان يحكي عنهما الآن فتساءلت ما إذا كان الخوف من الموت، فأغلق عينه اليمنى وفتحها سريعًا مع حركة رأسه في إجابة أن لا، فكان خوفه من الحياة!

* تمت *

١٤ يوليو ٢٠١٤

openkandl.com

وأما الزمن تَعَبُه

قصقص شريط الفيلم

وخد كادر كان عاجبه

وقرر يعيش في الحلم

مصطفى إبراهيم

obeikandl.com

شُكر خاص.

محمود فتحي سعد.

محمد الحسيني.

مصطفى عبدالعزيز.

علي محمد أبوالروس.

محمد عصمت.

أحمد علاء الدين.

أحمد بحيري.

عمرو البحيري.

obeikandl.com

عبدالرحمن أحمد شاكر

كاتب شاب من مواليد عام 1993، يدرس حاليًا بكلية الحقوق جامعة حلوان، كاتب بمجلة «كلمتنا»، صدر له من قبل كتاب ساخر بعنوان «أتوبيس كومبليت» في يناير 2014، وتُعد «أوركاچيا» هي روايته الأولى.

المدونة.

http://Alshakeron.blogspot.com/

للتواصل مع الكاتب.

https://www.facebook.com/AlShaKeRoN

https://twitter.com/AlShaKeRoN

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Noon_publishing@yahoo.com

ت-02-35860372 011-27772007

obeikandl.com